



الْحَبِيبُ الْعَجَبُ سَيِّدُ الْمُقَدِّسِينَ

حَبِيبُ بْنُ مُطَاهِرٍ مِنْ أُمَّهِدِلَى إِلَى الطَّيْفِ

الدُّكْتُورُ أَصْغَرَ طَهْمَاسِي الْبِلْدَاجِي
الْفَائِزُ فِي مُسَابَقَةِ أَفْضَلِ مُؤَلِّفٍ

عَنْ نَصَارِ الْأَمَامِ الْحَسِينِ الْأُولَى

شَيْخِ الْأَنْصَارِ حَبِيبِ بْنِ مُطَاهِرِ الْأَسَدِيِّ



الكتاب: حَيْبُ بْنُ مُظَاهِرٍ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى الطَّفِّ.
تأليف: الدكتور أصغر طهماسبى البُلداجي، الفائز الثالث.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.
الايخراج الطباعي: علاء سعيد الأسدي.
تصميم: منتظر محمد علي.
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع.
الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ١٠٠٠

الجهة المشرفة والمنظمة للمسابقة لجنة الاحتفالات المركزية

١. د. أفضل الشامي

٢. د. مشتاق العلي

٣. الأستاذ عدنان الحفار

٤. عقيل الياسري

تاريخ إنشاء الملف.....18/11/2025

تاريخ طباعة الابروف.....23/11/2025

شهر رمضان ١٤٤٦هـ - آذار ٢٠٢٥م



odoo :12441

حقوق النشر والتوزيع محفوظة للعتبة العباسية المقدسة



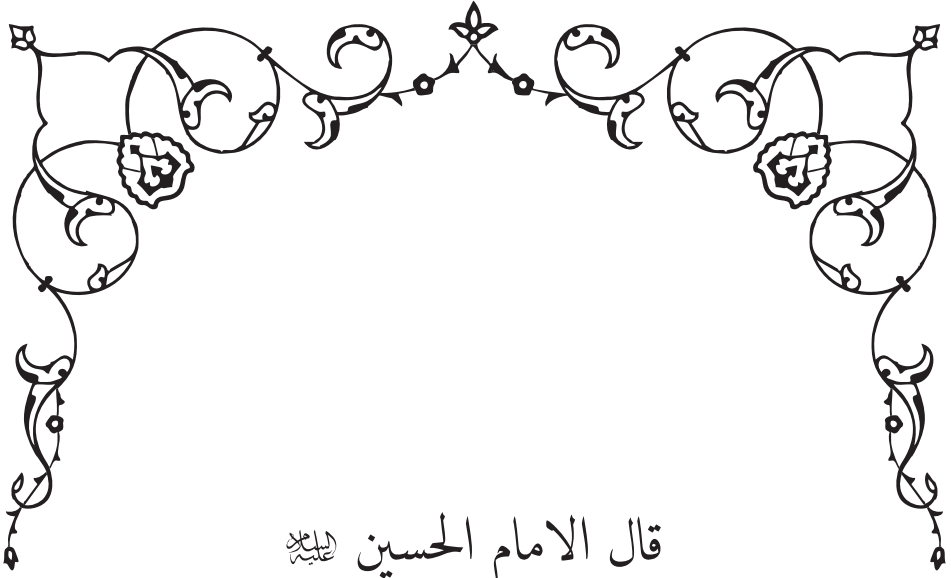
الْعَتَبَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ الْمُقَدِّسَةُ
قِسْمُ الشُّؤْنِ الْفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

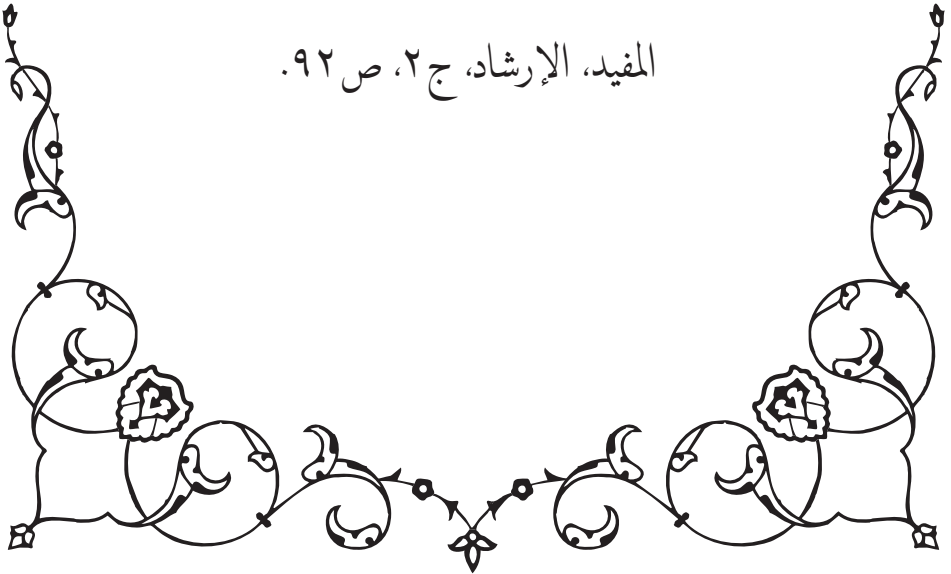
سورة النساء: الآية ٦٩



قال الامام الحسين عليه السلام

« إني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا
خيراً من أصحابي »

المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٩٢.



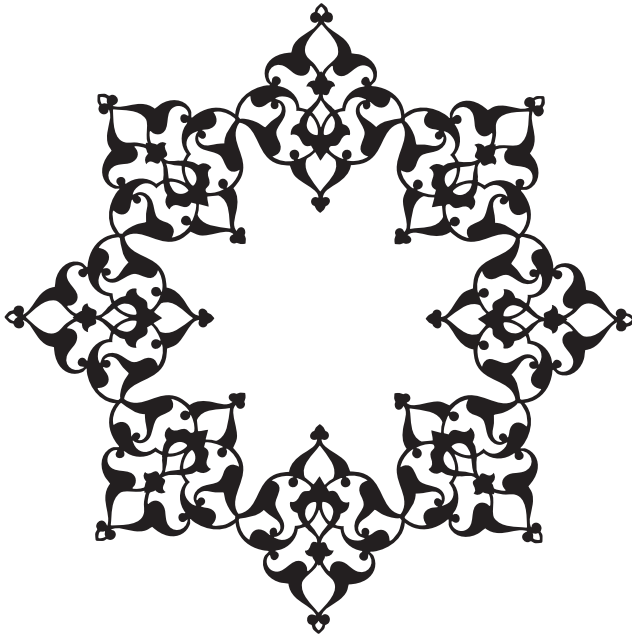
الإهداء

إلى سيّد الأحرارِ وقُدوةِ الإيثارِ الإمامِ الحسينِ عليه السلام

إلى أولادِ الحسينِ عليه السلام

إلى أصحابِ الحسينِ عليه السلام

إلى شيخِ الأنصارِ حبيبِ بنِ مُظَاهِر



المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تُعَدُّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من أهم الأحداث في تاريخ الإسلام، التي أصبحت خالدة في التاريخ لما كان لها من آثار عظيمة. لقد أصبحت هذه النهضة المباركة نموذجًا بارزًا وحسنًا لكل أحرار العالم. على مرّ القرون، اتخذت شخصياتٌ وحركاتٌ عظيمةً نهضة الإمام الحسين عليه السلام نموذجًا. إنَّ تخليدَ نهضة الإمام الحسين عليه السلام يعود إلى أنَّ الإمام عليه السلام وأصحابه ضحّوا بحياتهم بكلِّ إخلاص في سبيل دين الله والدِّفاع عن القيم الإلهية بكلِّ حماسة ورجولة، وقد ضحّوا بحياتهم في هذا السبيل ويقذف الله المحبّة والمودة في قلوب المؤمنين؛ كما يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١).

كان من عوامل نجاح حركة الإمام الحسين عليه السلام وخلودها وجود الرفاق المخلصين الشجعان الذين كانت حياتهم مليئةً بدروس الحرّية والإيمان والتّضحية. بسبب القيم العالية لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام، قدّم أصحابه كأفضل الصّحابة، وقال: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْفَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي وَلَا أَهْلَ بَيْتِ أَبَرِّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَجَزَاكُمُ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا»^(٢).

كان حبيب بن مظاهر من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام المخلصين الذين استشهدوا في كربلاء عند قدم إمامهم، كان حبيب سجلاً رائعاً في خدمة أهل البيت عليهم السلام بصفته شيخ أنصار الإمام الحسين عليه السلام، إنَّ تحقيق النّجاح في مساعدة الإمام الحسين عليه السلام كان بفضل جهود حبيب بن مظاهر، وكان من خاصّة الشيعة للإمام عليّ، والإمام الحسن، والإمام الحسين عليهم السلام؛ فسارع لمساعدتهم في عهد كلِّ من هؤلاء الأئمّة، ويمكن دراسة التّاريخ الرّائع لحبيب بن مظاهر من جوانب عدّة؛ كان الإيمان والاعتقاد والولاية ومساعدة الأئمّة والفقهاء والشّجاعة من صفات حبيب بن مظاهر، إنَّ دراسة سيرة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وتحليلها، ومن

(١) سورة مريم: الآية ٩٦.

(٢) المفيد، محمّد بن نعمان، الإرشاد: ج ٢، ص ٩١.

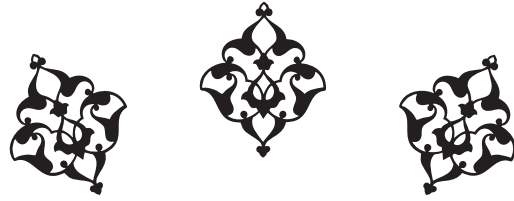
بينهم حبيب بن مظاهر، مهمٌّ من جوانبٍ متعددة منها:

أولاً، من المهمِّ معرفة حياة شخصيات مثل حبيب بن مظاهر الذين وصلوا إلى مستوى عالٍ من العلم والإيمان، بحيث ينبغي تحليل أبعاد حياتهم والتحقُّق فيها لمعرفة مسار جهودهم في مختلف المجالات وكيفية الوصول إلى هذا المستوى العالِي.

ثانياً، تُعدُّ حياة شخصيات مثل حبيب بن مظاهر الذين وصلوا إلى هذا المستوى والمكانة والعلم نموذجاً جميلاً ومؤثراً لكلِّ أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنَّ حياتهم فيها دروسٌ ورسائلٌ مؤثِّرة؛ إنَّ معرفتها وتطبيقها سيؤدِّي إلى مستوى الكمال والمعرفة، وتناول البحث الحالي سيرة حبيب بن مظاهر منذ ولادته إلى وقت استشهاده في سبعة فصول. قد ورد في الفصل الأوَّل الصِّفات العامَّة لحبيب بن مظاهر واسم أبيه ولقبه وصفاته العامَّة،

وقد تناول الفصل الثاني سيرة حبيب بن مظاهر في عهد الرِّسول الكريم صلَّى اللهُ عليه وآله؛ لقد مرَّت ٢٥ سنة من حياة حبيب بن مظاهر في عهد النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وآله، وفي هذا الفصل تحليلاً وتحقيقاً لصحبة حبيب، وفي الفصل الثالث حُلِّلت سيرة الحبيب في عهد الإمام عليٍّ عليه السلام، وقبل خلافة الإمام عليٍّ عليه السلام وفي أثناء خلافته، نوقشت سيرة الحبيب ونشاطاته، وفي الفصل الرابع تناولت حياة حبيب في زمن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام وشرحت مكانته في خدمة الإمام الحسن عليه السلام، و في الفصل الخامس؛ وهو من أهمِّ أبواب الكتاب، نوقشت سيرة حبيب بن مظاهر في عهد الإمام الحسين عليه السلام، وفي هذا الفصل جرى الحديث عن مكانة حبيب وحياته في قسَمين؛ يذكر في الجزء الأوَّل موقف الحبيب قبل حادثة عاشوراء في تطوُّرات الكوفة ودوره في هذه التطوُّرات بما في ذلك مساعدة مسلم بن عقيل؛ وفي الجزء الثاني توصِّف حياة حبيب بن مظاهر ونشاطاته منذ لحظة وصوله إلى كربلاء إلى لحظة استشهاده.

في الفصل السادس ذُكرت صفات حبيب بن مظاهر الدِّينية والأخلاقية، وينبغي بيان الجوانب المثالية من حياته للمؤمنين حتَّى يقتدوا به في خدمة إمام زمانهم، وفي الفصل الأخير ذُكرت رسائل الزيارات المكتوبة لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام ومنهم حبيب بن مظاهر، ونرجو من الله عزَّ وجلَّ أن يتقبَّل هذا العمل من المؤلِّف، ويكون ذخراً له يوم القيامة.



الفصل الأول:

السيرة الذاتية لحبيب بن مظاهر



السيرة الذاتية لحبيب بن مظاهر

وفي هذا الفصل، نذكر بإيجاز سمات حبيب بن مظاهر منذ ولادته، واسم أبيه وزوجته وأولاده ومكان دفنه.

الاسم واللقب والنسب

كان حبيب بن مظاهر من قبيلة بني أسد، وكنيته أبو القاسم. هناك اختلاف بين المؤرخين وكتاب السيرة في أن اسم أبيه جاء في ثلاثة ألقاب: «مظاهر»، «مظْهر»، و«مطْهر».

١. المظاهر

يذكر الطبري في كتابه التاريخ اسم المظاهر، ومنها في رسالة الحبيب إلى الإمام الحسين (عليه السلام)؛ إذ يقول: «الحسين بن عليٍّ من سليمان بن صُردٍ والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة سلام عليك»^(١).

ويذكر ابن الأثير أيضاً عنوان «مظاهر»، فيقول: «ولمَّا بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمر وابن الزبير عن البيعة، أرجفوا بيزيد، واجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فذكروا مسير الحسين إلى مكة وكتبوا إليه عن نفر منهم: سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر وغيرهم»^(٢).

٢. مظْهر

يصف سيّد محسن الأمين اسمه ولقبه بهذا الشكل: «أبو القاسم حبيب بن مظْهر أو مظاهر بن رئاب بن الأشتر بن حجوان بن فقْعس بن طريف بن عمرو بن قيس بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد الأسدي الكندي، ثم الفقْعسي، استشهد مع الحسين (عليه السلام) بكربلاء سنة ٦١، (مظْهر) في الخلاصة: بضم الميم وفتح الظاء المعجمة وتشديد الهاء والراء أخيراً، وقيل مظاهر. وفي رجال ابن داود: حبيب بن مظاهر، وقيل

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم: ج ٤، ص ٢٦١.

(٢) ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٢٠.

مظهر بفتح الظاء وتشديد الهاء وكسرها، والأوّل بخطّ الشيخ رحمه الله. والذي في أكثر النسخ من كتب التّاريخ وغيرها مظهر بوزن مطهر، وهو الصّواب، وما في الكتب الحديثة أنّه ابن مظاهر خلاف المضبوط قديماً^(١).

يذكر السّماويّ بوضوح اسم والده، ويكتب: «هو حبيب بن مطهر بن رثاب بن الأشتر بن جخوان بن فقّس بن طريف بن عمرو بن قيس بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، أبو القاسم الأَسديّ الفقعسيّ»^(٢).

يعبّر البلاذريّ في أنساب الأشراف عن لقبه مظهر ومطهر: «بلغ الشّيعة من أهل الكوفة موت معاوية، وامتناع الحسين من البيعة ليزيد، فكتبوا إليه كتاباً صدوره: من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شدّاد، وحبيب بن مطهر - وبعضهم يقول: مطهر (كذا) - وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة. أمّا بعد؛ فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأُمَّة، فابتزّها أمرها وغصبها فيئها وتأمّر عليها بغير رضّى منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دُولَةً بين أغنيائها؛ فبعداً له كما بعدت ثمود، وليس علينا إمام، فأقدّم علينا لعلّ الله يجمعنا بك على الحقّ»^(٣).

ويذكره الدينوريّ أيضاً باسم المظهر: «وعبأ الحسين عليه السلام أيضاً أصحابه، وكانوا اثنين وثلاثين فارساً وأربعين راجلاً، فجعل زهير بن القين على ميمنته، وحبيب بن مطهر على يسرته، ودفع الرّاية إلى أخيه العباس بن عليّ، ثمّ وقف، ووقفوا معه أمام البيوت»^(٤).

وذكره الشيخ الصدوق أيضاً في كتاب الأملالي تحت عنوان مطهر:

«أنا زهير وأنا ابن القين أذبكم بالسيف عن حسين

ثمّ برز من بعده حبيب بن مطهر»^(٥).

(١) الأمين، السّيد محسن، أعيان الشّيعة: ج ٤، ص ٥٥٣.

(٢) السّماوي، الشّيخ محمّد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ج ١، ص ١٠٠.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٥٧.

(٤) الدينوري، ابن قتيبة، الأخبار الطّوال: ج ١، ص ٢٥٦.

(٥) الصدوق، محمّد بن بابويه، الأملالي: ج ١، ص ٢٢٤.

كما يذكر ابن الكلبي لقب المظهر ويكتب: «وحبيب بن مظهر بن رباب بن الأشتر، قتل مع الحسين، صلوات الله عليه»^(١).

٣. مطهر

ويقول بعض المؤرخين وكتاب السيرة الآخرين إن اسم والده مطهر، هكذا قال ابن كثير في كتاب البداية والنهاية: «فقال عند ذلك شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف! إن كنت أدري ما يقول؟ فقال له حبيب بن مطهر...»^(٢).

ويكتب عنه في مكان آخر بالعنوان نفسه: «فقال له حبيب بن مطهر: زعمت أن لا تقبل الصلاة من آل رسول الله ﷺ وتقبل منك يا حمار، فحمل عليه الحصين وخرج إليه حبيب، فضرب وجه فرسه بالسيف فشب فسقط عنه الحصين، فاستنقذه أصحابه، وقاتل حبيب قتالاً شديداً، فقتل رجلاً من بني تميم اسمه بديل بن صريم، وحمل عليه آخر من تميم فطعنه، فذهب ليقوم، فضربه الحصين على رأسه بالسيف فوقع، ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه، فقال له الحصين: أنا شريكك في قتله، فقال الآخر: لا والله، فقال له الحصين: أعطنيه، أعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس أي شريك في قتله، ثم خذه وامض به إلى ابن زياد، فلا حاجة لي فيما تُعطاه»^(٣).

التحليل والدراسة

هناك خلاف بشأن اسم والده، وربما يرجع ذلك إلى تشابه الكلمات الثلاث مع بعضها بعضاً والتصحيح الذي ربما حدث لهذه الكلمة عبر التاريخ. يكتب السيد محسن الأمين: «والذي في أكثر النسخ من كتب التاريخ وغيرها مظهر بوزن مطهر، وهو الصواب، وما في الكتب الحديثة أنه ابن مظاهر خلاف المضبوط قديماً»^(٤)، لكن العلامة المامقاني يعتبر

(١) ابن الكلبي، هشام بن محمد، جمهرة النسب: ج ١، ص ١٧٠.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٩٤.

(٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٧٠.

(٤) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة: ج ٤، ص ٥٥٣.

كلمة «المظاهر» لبعض الأسباب صحيحة، ويكتبها: «وقال ابن داود في القسم الأوّل من رجاله: حبيب بن مظاهر، وقيل: مظهر - بفتح الظاء، وتشديد الهاء وكسرهما - والأوّل بخط الشيخ رحمه الله من أصحاب عليّ والحسين (عليهما السلام) (جخ) (كش) [أي كما في رجال الشيخ والكشي] قتل مع الحسين (عليه السلام)، وكان من السبعين الذين ناصروه وصبروا على البلاء حتّى قتلوا بين يديه رحمه الله، انتهى. وفي تعليقه الشهيد الثاني رحمه الله على الخلاصة ما لفظه: قال ابن طاوس: إنّه وجده (مظاهر) بخط عميد الرؤساء، وهو ثبت وما نسبه إلى ابن طاوس موجود في حاشية التحرير الطاوسي، وأقول: الذي يتبيّن من نقل ابن داود عن خطّ الشيخ، ونقل الشهيد الثاني رحمه الله عن خطّ ابن طاوس، أنّ «مظاهراً» - بالألف - هو الأصحّ؛ وهو المشهور على الألسن وفي الزيارات^(١) يستعمل في كتب الزيارة التي كتبها الأئمة (عليهم السلام) عنوان «المظاهر» على سبيل المثال، ذكر ذلك في زيارة رجبية: «ثُمَّ التَّفَتُّ نَحْوَ الشَّهَدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَ قُلْ: السَّلَامُ عَلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنْفِيِّ السَّلَامُ عَلَى حُرِّ بْنِ يَزِيدِ الرِّيَاحِيِّ السَّلَامُ عَلَى زُهَيْرِ بْنِ الْقَيْنِ السَّلَامُ عَلَى حَبِيبِ بْنِ مُظَاهِرِ السَّلَامُ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عَوْسَجَةَ...»^(٢) وفي زيارة شهداء كربلاء يوم عاشوراء التي لم تذكر في المزار المشهدي، يذكر اسم «مظاهر»: «السَّلَامُ عَلَى زُهَيْرِ بْنِ الْقَيْنِ البَجَلِيِّ، القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف: لا والله لا يكون ذلك أبداً، أترك ابن رسول الله أسيراً في يد الأعداء، وأنجو؟، لا أراني الله ذلك اليوم، السَّلَامُ عَلَى عمرو بن قرظة الأنصاري، السَّلَامُ عَلَى حَبِيبِ بْنِ مُظَاهِرِ الأَسَدِيِّ...»^(٣). كما يُشاهد في رسائل الزيارة هذه، يذكر اسم والد حبيب مع لفظ «مظاهر».

(١) المامقاني، الشيخ عبدالله، تنقيح المقال في علم الرجال: ج ١٧، ص ٣٩٤.

(٢) الشهيد الأوّل، محمّد بن مكّي، المزار: ص ١٥١-١٥٤.

(٣) المشهدي، الشيخ أبو عبد الله محمّد بن جعفر، المزار: ص ٤٩٣.

تأريخ ولادة حبيب بن مظاهر

لا توجد معلومات دقيقة عن موعد ميلاد حبيب، ويذكر السيد محسن أمين في كتابه أعيان الشيعة أن عمره يوم عاشوراء كان ٧٥ سنة، ويكتب: «وفي مجالس المؤمنين، عن روضة الشهداء أنه قال: حبيب رجل ذو جمال وكمال، وفي يوم وقعة كربلاء كان عمره ٧٥ سنة، وكان يحفظ القرآن كله، وكان يختمه في كل ليلة من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر»^(١) وإذا كان عمره يوم عاشوراء ٧٥ سنة؛ فهذا يعني أنه وُلِدَ ١٤ سنة قبل هجرة النبي ﷺ.

لقب حبيب بن مظاهر

لقبه في الغالب هو الأسدي، وهو ما يشير إلى لقب قبيلته، وكانت قبيلة حبيب بني أسد ولقبهم مشتق أيضاً من لقب قبيلة بني أسد، وقد أطلق عليه علماء الحديث والرجال والترجمة والأنساب اللقب نفسه^(٢).

زوجته

لم يرد في كتب التاريخ والتراجم أن حبيب بن مظاهر الأسدي تزوج بغير أم القاسم، التي خلّدتها صفحات السيرة بموافقها الإيمانية مع شيخ الأنصار في حياته؛ ولا سيما في أحداث سنة ستين للهجرة، مع سفير الإمام الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل، وسنة إحدى وستين للهجرة، مع حبيب بن مظاهر الأسدي، وحثه على نصرته الإمام الغريب عليه السلام، واستقبالها رأس حبيب بن مظاهر الأسدي حين دخول السبايا إلى الكوفة، وهي من بني أسد، وأم أولاده الثلاثة: القاسم، ومحمد، وعبد الله.

يكتب الشيخ ذبيح الله المحلّاتي قصة تشجيع حبيب بن مظاهر من زوجه في كتاب فرسان الهيجاء: «إنّ الحسين عليه السلام لما نزل كربلاء كتب كتاباً إلى محمد بن الحنفية وآخر إلى الكوفة، وكتب

(١) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة: ج ٤، ص ٥٥٤.

(٢) البرقي، ابو جعفر، الرجال: ج ١، ص ٦٧؛ الطوسي، محمد بن حسن، رجال الطوسي: ج ١، ص ٥٩٧؛ ابن أعمش الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٨٦.

كتاباً خاصّاً إلى حبيب بن مظاهر؛ وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ إلى الرجل الفقيه حبيب بن مظاهر الأَسديّ، أما بعدُ، فقد نزلنا كربلاء وأنت تعلم قرابتي من رسول الله؛ فإن أردت نصرتنا فأقدم إلينا عاجلاً... ولكن كيف وصلت هذه الرسالة إلى حبيب، علم ذلك عند الله؛ لأنَّ الطُّرقَ جميعها مأخوذة بالرَّصد والعدوّ قد أحاط بهم. وعلى كلِّ حال؛ فقد بلغ الرِّسول بيت حبيب، وكان حبيب قد استخفى خوفاً من عدوّ الله ابن زياد عند قومه، وكان على المائدة مع أهله. فغصّت زوجته بلقمتها؛ فقالت: أرى أنّ خبراً عاجلاً سيردنا، وإذا بالرِّسول قد أقبل عليهم وناول حبيياً كتاب الحسين (عليه السلام)، فقالت زوجته: ما هذا الكتاب يا حبيب؟ فقال: دعوة من الإمام الحسين يطلب نصرتي إيّاه. فلم يمضِ طويلاً وقتٍ حتّى أحاطت عشيرته خبراً بمضمون الكتاب فداروا به حتى يعلموا خفاياه، وهل هو عازم على الخروج إلى الحسين أم لا؟ فطمأنهم على عدم لحوقه بالحسين، وقال لهم: أنا شيخ كبير فما أصنع للحسين (عليه السلام)، فلمّا وثقت عشيرته منه، قالت له زوجته: أيطلبك ابن رسول الله وأنت تتقاعد عن نصرته، فما جوابك يوم القيامة جدّه؟ فأجابها وكان يتقي حتّى زوجته: أخاف من ابن زياد أن يهدم داري وينهب مالي ويأسرك! فقالت تلك المرأة اللبّوة: أجب الحسين وليهدم ابن زياد دارنا ولينهب مالنا وليأسروني، خف الله يا حبيب، كيف لا تلبّي نداء الحسين وقد دعاك إلى نصرته؟! فبالغ حبيب في التقيّة: ألا تريني أيّتها المرأة وأنا شيخ عاجز، لا أستطيع الكرّ والفِرّ وحمل السيف. فلمّ قوله المرأة وأعضبها فراحت تبكي بحرقة وتسكب الدموع وحسرت عن رأسها، ورمت قناعها على رأس حبيب، وقالت: أقم أنت بين النساء، ثمّ تنفّست الصّعداء وقالت: يا أبا عبد الله، ليتني كنت رجلاً فأقدم عليك وأبذل نفسي بين يديك. فلمّا شاهد حبيب منها هذا المشهد ووثق بجزمها وإخلاصها وعرضها على محكِّ الحقّ، اطمأنّ بالأمنها، فقال: كُفّي أيّتها المرأة ولأنعمتْك عينا، وسوف أصبغ بياض شيبتي بدم نحري في نصرة الحسين (عليه السلام)^(١).

وبغضّ النّظر عن صحّة هذه الأقوال؛ فإنّ وجود حبيب بن مظاهر في كربلاء ومساعدة الإمام الحسين (عليه السلام)، نفسه يشهد على أنّ زوجته شجّعته على مساعدة ابن رسول الله في هذا المجال.

(١) المحلّاتي، ذبيح الله، فارس الهيجاء: ص ١٢٤-١٢٥.

الأولاد

كان له من الأولاد ثلاثة؛ وهم:

- القاسم بن حبيب بن مظاهر؛ وهو الذي يُكنى به.

- محمّد بن حبيب بن مظاهر.

- عبد الله بن حبيب بن مظاهر^(١).

عن القاسم بن حبيب، هناك أقوال مختلفة في بعض الكتب، ومن بين أمور أخرى، هكذا انتقم من قاتل والده: تقول الرواية: فلما رجعوا إلى الكوفة، أخذ الآخر رأس حبيب فعلقه في لبان فرسه، ثم أقبل به إلى ابن زياد في القصر، فبصّر به ابنه القاسم بن حبيب؛ وهو يومئذٍ قد راهق، فأقبل مع الفارس لا يفارقه؛ كلما دخل القصر دخل معه، وإذا خرج خرج معه، فارتاب به، فقال: مالك، يا بني، تتبّعني؟

قال: لا شيء.

قال: بلى يا بني، أخبرني؟

قال له: إنّ هذا الرأس الذي معك رأس أبي، أفتعطينيه حتى أدفنه؟

قال: يا بني، لا يرضى الأمير أن يُدفن، وأنا أريد أن يثبني الأمير على قتله ثواباً حسناً.

قال له الغلام: لكنّ الله لا يثبّيك على ذلك إلا أسوأ الثواب، أمّا والله، لقد قتلت خيراً منك، وبكى، وبقيت لوعة الألم التي أشعلها قاتل الشهيد حبيب بن مظهرّ الأسديّ تغلي في نفس ولده القاسم، لا تهدأ له عبرة ولا تسكن له زفرة، حتى هبّ الله عزّ وجلّ له أسباب الأخذ بثأر والده، وتمضي الأيام ثقيلة على ولد الشهيد الكربلائيّ، حتى إذا جاء زمن مصعب بن الزبير وحرّبه مع عبد الملك بن مروان، وإذا بابن الزبير يستعين لقتال عبد الملك بجملة من مجرمي واقعة الطّفّ وقتله أهل البيت وأنصارهم، فكان من جملة من التحق منهم قاتل حبيب بن مظهرّ الأسديّ.

(١) القصير، علي، حياه حبيب بن مظاهر الأسديّ: ص ٥٣.

يقول أبو مخنف في مقتله: فمكث الغلام، حتى إذا أدرك، لم يكن له همّة إلا اتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرّة فيقتله بأبيه، فلمّا كان زمان مصعب بن الزبير وغزا مصعب باجميري، دخل عسكر مصعب، فإذا قاتل أبيه في فسطاطه. فأقبل في طلبه والتماس غرّته، فدخل عليه وهو قائل نصف النهار، فضربه بسيفه حتى برد^(١).

مكان قبر حبيب بن مظاهر

هناك اختلاف في مكان قبر حبيب بن مظاهر، وانقسمت آراء المؤرخين وكتاب السيرة على قسمين: يقول بعضهم: إنّ قبور شهداء كربلاء في مكان واحد، وفي هذا الأمر لا يذكرون مكاناً مستقلاً لقبر حبيب بن مظاهر.

الشيخ المفيد يكتب عن هذا: «ولمّا رحل ابن سعد خرج قوم من بني أسد كانوا نزولاً بالغازية إلى الحسين وأصحابه رحمة الله عليهم، فصلّوا عليهم ودفنوا الحسين حيث قبره الآن، ودفنوا ابنه عليّ بن الحسين الأصغر عند رجله، وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرّعوا حوله ممّا يلي رجلي الحسين، وجمعوهم فدفنوهم جميعاً معاً، ودفنوا العباس بن عليّ في موضعه الذي قُتل فيه، على طريق الغازية حيث قبره الآن»^(٢).

في هذه الرواية، دُفن الصحابة كلّهم في مكان واحد؛ فعبارة «وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرّعوا حوله ممّا يلي رجلي الحسين، وجمعوهم فدفنوهم جميعاً معاً» تدلّ على ذلك.

كما يذكر الطبرسيّ هذا الأمر في إعلام الوري: «فلمّا رحل ابن سعد، خرج قوم من بني أسد - كانوا نزولاً بالغازية - إلى الحسين عليه السلام وأصحابه، فصلّوا عليهم، ودفنوا الحسين عليه السلام حيث قبره الآن، ودفنوا ابنه عليّ بن الحسين الأصغر عند رجله، وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرّعوا حوله حفرة ممّا يلي رجله، وجمعوهم فدفنوهم جميعاً معاً،

(١) الصّمياني، حيدر، موسوعة في ظلال شهداء الطّف: ج ٢، ص ١١٣-١١٤.

(٢) المفيد، محمّد بن نعمان، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٤.

ودفنوا العباس بن علي في موضعه الذي قُتل فيه، على طريق الغاصرية حيث قبره الآن»^(١)، ويروي ابن طاووس عمليّة صلاة بني أسد على جثث الموتى، لكنّه لا يذكر تفاصيل قبورهم، ويكتب: «ولمّا انفصل ابن سعد عن كربلاء، خرج قوم من بني أسد، فصلّوا على تلك الجثث الطّواهر المرمّلة بالدماء، ودفنوها على ما هي الآن عليه»^(٢).

ذكر الشيخ المقرّم في كتاب مقتل الحسين، وجود الإمام السّجاد عليه السلام في دفن الأجساد الطّاهرة، ولكنّه لا يشير إلى انفصال قبر حبيب بن مظاهر، بل يشير إلى انفصال قبر الحرّ بن يزيد الرّياحيّ فقط، وقد كتب: «ولمّا أقبل السّجاد عليه السلام وجد بني أسد مجتمعين عند القتلى، متحيرين لا يدرون ما يصنعون، ولم يهتدوا إلى معرفتهم؛ إذ فرّق القوم بين رؤوسهم وأبدانهم، وربّما يسألون عن أهلهم وعشيرتهم، فأخبرهم عليه السلام بما جاء إليه من مواراة هذه الجسوم الطّاهرة، وأوقفهم على أسمائهم، كما عرفهم بالهاشميين من الأصحاب. فارتفع البكاء والعويل، وسالت الدموع منهم كلّ مسيل، ونشرت الأسيديّات الشعور ولطمنّ الخدود. ثمّ مشى الإمام زين العابدين عليه السلام إلى جسد أبيه، فاعتنقه وبكى بكاءً عاليًا، وأتى إلى موضع القبر، ورفع قليلاً من التّراب فبان قبر محفور وضريح مشقوق، فبسط كفّيه تحت ظهره وقال: «بسم الله، وفي سبيل الله، وعلى ملّة رسول الله، صدق الله ورسوله، ما شاء الله، لا حول ولا قوّة إلّا بالله العظيم» ثمّ أنزله وحده، ولم يشاركه بنو أسد فيه، وقال عليه السلام لهم: «إنّ معي من يعينني»، ولمّا أقرّه في لحده، وضع خده على منحرة الشّريف قائلاً: «طوبى لأرض تضمّنت جسدك الطّاهر، فإنّ الدّنيا بعدك مظلمة، والآخرة بنورك مشرّقة، أمّا اللّيل فمسّهّد، والحزن سرمد، أو يختار الله لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم، وعليك منّي السّلام، يا ابن رسول الله، ورحمة الله وبركاته» وكتب على القبر: «هذا قبر الحسين بن عليّ بن أبي طالب، الذي قتلوه عطشاناً غريباً»، ثمّ مشى إلى عمّه العباس عليه السلام، فأراه بتلك الحالة التي أدهشت الملائكة بين أطباق السّماء، وأبكت الحور في غرف الجنان، ووقع عليه يلثم نحره المقدّس قائلاً: «على الدّنيا بعدك العفا يا قمر

(١) الطّبرسي، أعلام الوري: ج ١، ص ٤٧١-٤٧٢.

(٢) ابن طاووس، الملهوف على قتلى الطّفوف: ج ١، ص ١٩٠.

هاشم، وعليك مني السلام، أيها الشهيد المحتسب، ورحمة الله وبركاته» وشقَّ له ضريحًا وأنزله وحده كما فعل بأبيه الشهيد، وقال لبي أسد: «إنَّ معي من يعينني» نعم! ترك لبي أسد مجالًا لمشاركته في مواراة الشهداء، وعين لهم موضعين وأمرهم أن يحفروا حفرتين: الأولى لبي هاشم، والأخرى للأصحاب. وأمَّا الحرَّ الرياحي؛ فقد أبعده عشيرته إلى حيث مرَّقه الآن، وقيل: إنَّ أمه كانت حاضرة، فلمَّا رأت ما يُصنع بالأجساد، حملت الحرَّ إلى هذا المكان^(١).

الصَّنْفُ الثَّانِي: مَنْ يَقُولُ إِنَّ قَبْرَ حَبِيبِ بْنِ مَظَاهِرٍ مُنْفَصِلٌ عَنِ سَائِرِ الصَّحَابَةِ. يَذْكُرُ السَّيِّدُ مُحْسِنُ الْأَمِينِ فِي أَعْيَانِ الشَّيْعَةِ؛ فَضْلًا عَمَّا سَبَقَ، دَفَنَ حَبِيبَ بْنِ مَظَاهِرٍ وَيَكْتُبُ عَنْهُ مُنْفَصِلًا: «ولمَّا رحل ابن سعد عن كربلاء، خرج قوم من بني أسد كانوا نزولًا بالغازية إلى الحسين عليه السلام وأصحابه، فصلوا على تلك الجثث الطواهر ودفنوها. فدفنوا الحسين عليه السلام حيث قبره الآن، ودفنوا ابنه عليًّا الأكبر عند رجله، وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرعوا حوله ممَّا يلي رجلي الحسين عليه السلام، فجمعوهم فدفنوهم جميعًا في حفرة واحدة وسووا عليهم التراب، قال المسعودي: ودفن أهل الغازية، وهم قوم من بني عامر من بني أسد، الحسين وأصحابه بعد قتلهم بيوم، أي: في اليوم الذي ارتحل فيه ابن سعد من كربلاء؛ فإنَّه بقي في كربلاء إلى زوال اليوم الحادي عشر كما مرَّ، أمَّا إذا كانوا قد جاؤوا في اليوم الثاني من رحلته؛ فيكون الدفن بعد القتل بيومين، ويقال إنَّ أقربهم دفنًا إلى الحسين عليه السلام ولده الأكبر عليه السلام، فيزورهم الزائر من عند قبر الحسين عليه السلام ويومئ إلى الأرض التي نحو رجله بالسلام عليهم، ودفنوا العباس بن علي عليه السلام في موضعه الذي قُتل فيه، على المسناة بطريق الغازية، حيث قبره الآن، ودفنوا سائر الشهداء حول الحسين عليه السلام في الحائر، قال المفيد (عليه الرحمة): ولسنا نحصل لهم أجدانًا على التحقيق والتفصيل، إلاَّ أننا نشكُّ أنَّ الحائر محيط بهم رضي الله عنهم وأرضاهم. ويقال إنَّ بني أسد دفنوا حبيب بن مظاهر في قبر وحده عند رأس الحسين عليه السلام حيث قبره الآن، اعتناءً به لأنَّه أسدي، وإنَّ بني تميم حملوا الحرَّ بن يزيد الرياحي على نحو ميل من الحسين عليه السلام ودفنوه هناك، حيث قبره الآن، اعتناءً به أيضًا، ولم يذكر ذلك المفيد، ولكن اشتهار ذلك ثابت^(٢).

(١) المقرَّم، السَّيِّدُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: ج ١، ص ٣٢١.

(٢) الْأَمِينُ، السَّيِّدُ مُحْسِنُ، أَعْيَانُ الشَّيْعَةِ: ج ١، ص ٦٠٨.

كما يذكر مؤلف موسوعة كربلاء مكاناً منفصلاً لقبر حبيب بن مظاهر، ويكتب: «يقع ضريح الحسين عليه السلام في كربلاء، في صحن طوله ٩٥ مترًا وعرضه ٧٥ مترًا، تحيط به الحيوانات والحجرات، جدران الصحن محلاة بحجارة ذات لون أزرق، نُقشت عليها آيات من القرآن الكريم بأحرف بيضاء، وأما المقام فطوله ١٤ مترًا وعرضه ٩ أمتار، ويتألف من عمارة قائمة الزوايا، لها قاعة خارجية مذهبة، تحف بها ممرات أعدت للطواف حول الضريح المشرف، في منتصف المقام يقع ضريح الحسين عليه السلام، وحوله شبكان: الشبك الخارجي مصنوع على شكل مشربية من الفضة، والداخلي من الذهب، وقد أعيد بناء قبة المشهد وأمر السلطان فتح علي شاه بتذهيبها، مؤسس الدولة القاجارية المالكة في إيران، عام ١٨١٧ م، على حين تبرعت زوجته بتذهيب المئذنتين، يوجد داخل المقام قبر الحسين عليه السلام، وعند رجليه من الشرق قبر ابنه الشهيد علي الأكبر عليه السلام. وفي الزاوية الجنوبية الشرقية، توجد قبور شهداء أهل البيت عليهم السلام في مكان واحد، على حين ينفرد قبر حبيب بن مظاهر بموقعه الخاص في الزاوية الجنوبية الغربية»^(١).

يذكر السماوي أيضًا الشيء نفسه في كتاب إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام ويكتب: «وقال غيره: دفنوا العباس في موضعه لأنهم لم يستطيعوا حمله لتوزيع أعضائه، كما أن الحسين عليه السلام لم يحمله على عادته في حمل قتلاه إلى حول المخيم، لذلك دفنت بني أسد حبيبًا عند رأس الحسين حيث قبره الآن اعتناءً بشأنه، ودفنت بني تميم الحر بن يزيد الرياحي على نحو ميل من الحسين عليه السلام حيث قبره الآن اعتناءً به أيضًا، أقول: سمعت مذاكرة أن بعض ملوك الشيعة استغربوا ذلك، فكشفوا عن قبري حبيب والحر، فوجدوا حبيبًا على صفته التي ترجم بها في الكتب، ووجدوا الحر على صفته أيضًا، ورأوا رأس الحر غير مقطوع، وعليه عصابة، فحلها ليأخذها تبركًا بها، فانبعث دم من جبينه، فشدها على حالها، وعملوا على قبريهما صندوقين، فإن صحّت هذه الرواية، فيحتمل أن بني تميم منعوا من قطع رأس الحر لرئاسته وشوكتهم»^(٢).

(١) لبيب بيضون، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٥٥٩.

(٢) السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين: ص ٢١٩-٢٢٠.

ويكتب المؤرّخ المعاصر سلمان هادي آل طعمة عن قبر حبيب بن مظاهر في كتابه: «وهو أحد شهداء حادثة الطّفّ، نصر الحسين (عليه السلام) وشهر سيفه أمام الأعداء حتّى سقط صريعاً على رمضاء كربلاء، ودُفن في الواجهة الغربيّة من الرّواق الأمامي للروضه الحسينيّة المطهّرة، وضرّجه مصنوع من الفضة، وهو أجلّ شأنًا من أن يوصف»^(١).

التّحليل والدّراسة

على أنّه لم يُذكر مكان مستقلّ لقبر حبيب بن مظاهر في المصادر السّابقة، وقد ورد ذكر هذه المسألة أكثر في المصادر اللاحقة، لكن بحسب بعض الأدلّة، يمكن القول بأنّ قبر حبيب بن مظاهر في المكان الحاليّ بمعزل عن غيره من الشّهداء استنادًا الى مجموعة أسباب منها:
السّبب الأوّل: هو وجود أدلّة تاريخيّة ذكرها بعض المؤرّخين، وهي التي ذكرناها في الجزء السّابق.

والسّبب الثّاني هو وجود القبر الحاليّ المنسوب إلى حبيب بن مظاهر؛ أيّ إنّ لا شكّ في وجود القبر الحاليّ المنفصل عن القبور الأخرى، لكن بالرجوع إلى المصادر التّاريخيّة، يتّضح أنّه قد حدّد مكان محدّد لقبور الإمام الحسين (عليه السلام) وأولاده وعبّاس بن عليّ (عليه السلام) وشهداء كربلاء، وتلك الأماكن ليست القبر الحاليّ المنسوب إلى حبيب بن مظاهر. لو كان هذا القبر لأحد أبناء الإمام الحسين (عليه السلام) لصرّحت بذلك المصادر التّاريخيّة، لكن هذا القبر الحاليّ لا ينسب إلّا لحبيب بن مظاهر، ممّا يدلّ على أنّ قبر حبيب كان منفصلاً عن الشّهداء، وفي هذا المكان.

والسّبب الثّالث هو حضور قبيلة بني أسد في أثناء دفن شهداء كربلاء. وجود هذه القبيلة في دفن شهداء كربلاء دليل موثّق على دفن حبيب بن مظاهر في المكان الحاليّ؛ لأنّ قبيلة بني أسد كانت تكنّ لحبيب احترامًا خاصًّا، وتعدّه من شيوخ الأمة، في حادثة كربلاء دعاهم حبيب لمساعدة الإمام الحسين (عليه السلام) واستجابوا لكلام حبيب. يروي ابن أعثم هذه الحادثة على النحو الآتي: «وأقبل حبيب بن مظاهر الأسديّ إلى الحسين بن عليّ (عليه السلام) فقال: ها هنا حيّ من بني أسد بالقرب مني، أو تأذن لي أن أسير إليهم أدعوهم إلى نصرتك، فعسى الله أن يدفع بهم

(١) هادي آل طعمة، سلمان، تراث كربلاء: ص ١٠٩.

عنك بعض ما تكره! فقال له الحسين: قد أذنت لك يا حبيب! قال: فخرج حبيب بن مظاهر في جوف الليل منكرًا حتى صار إلى أولئك القوم، فحيّاهم وحيّوه وعرفوا أنه من بني أسد، فقالوا: ما حاجتك يا ابن عمّ؟ فقال: حاجتي إليكم قد أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم، أتيتكم أدعوكم إلى نصره ابن بنت رسول الله ﷺ؛ فإنه في عصابة من المؤمنين، الرّجل منهم خير من ألف رجل، لن يخذلوه ولن يسلموه، وفيهم عين نظرت؛ وهذا عمر بن سعد قد أحاط به في اثنين وعشرين ألفًا، وأنتم قومي وعشيرتي، وقد جئتكم بهذه النصيحة فأطيعوني اليوم في نصرته تنالون غداً شرفاً في الآخرة، فإني أقسم بالله أنه لا يُقتل منكم رجل مع ابن بنت رسول الله ﷺ صابراً محتسباً إلا كان رفيقاً محمداً ﷺ في أعلى عليين؛ قال: فوثب رجل من بني أسد يُقال له بشر بن عبيد الله، فقال: والله أنا أول من أجاب إلى هذه الدعوة، ثم أنشأ يقول:

قد علم القوم إذا تواكلوا وأحجم الفرسان أو تناصلوا
إني شجاع بطل مقاتل كأنتسي ليث عريسن باسل

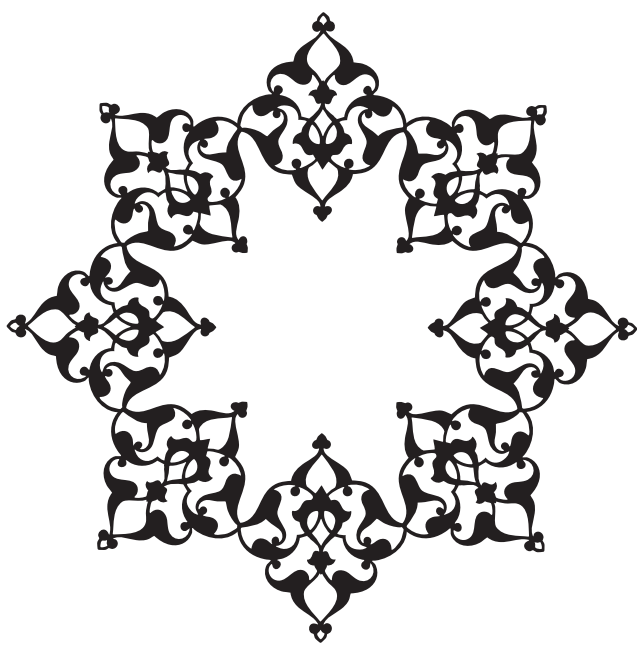
قال: ثم تبادل رجال الحيّ مع حبيب بن مظاهر الأسديّ.

قال: وخرج رجل من الحيّ في ذلك الوقت حتى صار إلى عمر بن سعد في جوف الليل فخره بذلك، فدعا رجلاً من أصحابه يُقال له الأزرق بن حرب الصيداويّ، فضمّ إليه أربعة آلاف فارس، ووجه به في جوف الليل إلى حيّ بني أسد مع الرّجل الذي جاء بالخبر. قال: فبينما القوم في جوف الليل قد أقبلوا يريدون معسكر الحسين؛ إذ استقبلهم جند عمر بن سعد على شاطئ الفرات، قال: فتناوش القوم بعضهم بعضاً واقتتلوا قتالاً شديداً، وصاح به حبيب بن مظاهر: ويلك يا أزرق! مالك ولنا دعنا! قال: واقتتلوا قتالاً شديداً، فلمّا رأى القوم بذلك انهمزوا راجعين إلى منازلهم، فرجع حبيب بن مظاهر إلى الحسين رضي الله عنه فأعلمه بذلك الخبر، فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم»^(١).

هذه الحادثة تبين بوضوح أنّ طائفة من قبيلة بني أسد كانوا حاضرين في إحدى مناطق كربلاء، وكانوا يكتنون احتراماً خاصاً لحبيب بن مظاهر، واستجابوا لدعوته وسارعوا

(١) ابن اعثم الكوفي، الفتوح: ج ٥، ص ١.

لنجدة الإمام (عليه السلام) عندما كان جيش عمر بن سعد (لعنة الله عليه) يمنع ذلك، والجدير بالذكر أنّها القبيلة نفسها التي دفنت الجثث بعد عاشوراء؛ وهذه الأدلة تدلّ على أنّه كما دفنت بني تميم جسد حرّ بن يزيد الرّياحيّ؛ فقد دفن بنو أسد حبيب بن مظاهر منفردًا بجانب الإمام الحسين (عليه السلام) احترامًا وتعظيمًا لعشيرتهم، لذلك فإنّ قبر حبيب بن مظاهر هو القبر الحاليّ بجوار قبر الإمام الحسين (عليه السلام).



الفصل الثاني:

حبيب بن مظاهر في عهد النبي
(من يوم ميلاد الحبيب إلى سنة
٢٥ من عمره اليرشف)

حبيب بن مظاهر في عهد النبي

(من يوم ميلاد الحبيب إلى سنة ٢٥ من عمره الشريف)

باعتبار أن عمر حبيب بن مظاهر كان يبلغ من العمر ٧٥ عامًا وقت استشهاده؛ أي إنه وُلِدَ قبل البعثة النبوية بعام تقريبًا، وكان عمره ١٤ عامًا وقت هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة، وبحسب هذا القول؛ فقد عاش في زمن النبي ﷺ ٢٥ سنة، أي إن ٢٥ سنة من حياة حبيب بن مظاهر قد مضت في عهد النبي ﷺ، ولم تذكر المصادر سوى معلومات قليلة جدًا عن هذا الجزء من حياة حبيب في زمن النبي ﷺ. يُذكر في هذا الجزء حال قبيلة بني أسد، وهي قبيلة حبيب، في زمن النبي ﷺ، وعندئذٍ، وبحسب الأدلة، يجري على تحليل حياة حبيب بن مظاهر وتحقيقها في عهد النبي ﷺ ما كانت عليه قبيلته.

قبيلة بني أسد في زمن البعثة النبوية ﷺ

في ما يأتي نذكر خصائص قبيلة بني أسد، ومكان معيشتهم ومكانتهم في العصر النبوي ﷺ.

نسب قبيلة بني أسد ومكان حياتهم

نسب بني أسد يعود إلى خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر^(١). يكتب ابن حزم عن نسب هذه القبيلة في جمهرة أنساب العرب: «قريش هم ولد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان؛ وسائر ولد كنانة ينتمون إلى كنانة أبيهم، ليسوا قريشًا. بنو أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان»^(٢)، واليعقوبي يكتب عن هذا قائلًا: «وكان خزيمة أحد حكام العرب، ومن يُعدُّ له الفضل والسؤدد، فولد خزيمة بن مدركة كنانة، وأمّه عوانة بنت قيس بن عيلان، وأسد

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، أنساب الأشراف: ج ١١، ص ١٥٣.

(٢) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب: ج ١، ص ٤٧٩.

والهون، وأمهم برة بنت مر بن أد بن طابخة أخت تميم بن مر، فأما أسد بن خزيمة؛ فإن ولده انتشروا في اليمن، وهم: جذام، ولخم، وعاملة بنو عمرو بن أسد، وكانت مضر تدعي جذامًا خاصة، وبنو أسد مقيمون على أئمتهم منهم يواصلونهم على ذلك، ويعدّونهم منهم^(١)، وبحسب تقرير ابن سعد؛ فإن جيل أسد عاش في مكة حتى وصل فهر بن مالك، الجد العاشر للنبي، كما يكتب: «إِنَّمَا سُمُّوا قُرَيْشًا لِأَنَّ بَنِي فِهْرٍ الثَّلَاثَةَ كَانَ اثْنَانِ مِنْهُمْ لِأُمِّ وَالْآخَرَ لِأُمِّ أُخْرَى، فَافْتَرَقُوا فَتَزَلُّوا مَكَانًا مِنْ تَهْمَةَ مَكَّةَ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَتْ بَنُو بَكْرِ: لَقَدْ تَقَرَّشَ بَنُو جَنْدَلَةَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَزَلَ مِنْ مُصَرِّ مَكَّةَ خُزَيْمَةُ بْنُ مُدْرِكَةَ، وَهُوَ الَّذِي وَصَعَ هَيْبَلُ الصَّنَمِ مَوْضِعُهُ فَكَانَ يُقَالُ لَهُ صَنَمٌ خُزَيْمَةَ، فَلَمْ يَزَلْ بَنُوهُ بِمَكَّةَ حَتَّى وَرِثَ ذَلِكَ فِهْرُ بْنُ مَالِكٍ، فَخَرَجَتْ بَنُو أُسَيْدٍ وَمَنْ كَانَ مِنْ كِنَانَةَ بِهَا فَتَزَلُّوا مَنَازِلَهُمُ الْيَوْمَ»^(٢). ثم عدا بنو غنم، الذين أصبحوا حلفاء لبني عبد مناف وأقاموا بمكة؛ فقد ترك أسديون آخرون الحرم بعد الصراع مع اليمنيين، واستقروا في مناطق مختلفة من جزيرة العرب والمناطق المجاورة لها؛ يكتب اليعقوبي عن هذا: «وكان لأسد بن خزيمة من الأولاد: دودان، وكاهل، وعمرو، وهند، والصعب، وتغلب، وكان العدد في دودان، ومنه افتقرت قبائل بني أسد، وقبائل بني أسد هي: قعين، وفقعس، ومنقذ، ودبان، ووالبة، ولأحق، وحرثان، ورتاب، وبنو الصيداء، وكانت أسد منتشرة من لدن قصور الحيرة إلى تهامة، وكانت الطيئة محالفة ومتفقة معها، ودارهما تكاد أن تكون واحدة»^(٣).

ويكتب الحموي أيضًا عن هذا: «الحزون في بلاد العرب ثلاثة: حزن جعدة وهم من ربيعة. قلت أنا: جعدة هي القبيلة المشهورة التي ينسب إليها النابغة الجعدي وغيره، فهم من قيس عيلان، وهو جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وإن أراد ربيعة جد جعدة صحح، ولا يعلم في العرب قبيلة يقال لها جعدة ينسب إليها أحد غير هذه؛ قال: وبين حزن جعدة وحزن بني يربوع حزن غاضرة، وقال الأصمعي في كتاب جزيرة العرب:

(١) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي: ج ١، ص ٢٢٩.

(٢) الواقدي، ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ١، ص ٥٧.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي: ج ١، ص ٢٣٠.

الحُزُونُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ثَلَاثَةٌ: حَزْنُ بَنِي يَرْبُوعَ، وَحَزْنُ غَاضِرَةَ مِنْ بَنِي أَسَدَ، وَحَزْنُ كَلْبَ مِنْ قِضَاعَةَ، وَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: حَزْنُ زِبَالَةَ، وَهُوَ مَا بَيْنَ زِبَالَةَ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ مَصْعَدًا إِلَى بِلَادِ نَجْدَ، وَفِيهِ غُلْظٌ وَارْتِفَاعٌ، وَحَزْنُ بَنِي يَرْبُوعَ، فَاتَّفَقُوا عَلَى حَزْنِ بَنِي يَرْبُوعَ وَاخْتَلَفُوا فِي الْآخِرِينَ»^(١).

وَيَذَكُرُ عَمْرٌ كَحَالَةِ مَكَانِ مَعِيشَتِهِمْ فِي الْعِرَاقِ، وَيَكْتُبُ فِي التَّعْرِيفِ هَذِهِ الْقَبِيلَةَ وَمَكَانَ مَعِيشَتِهِمْ: «أَسَدُ بْنُ خَزِيمَةَ: قَبِيلَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْعَدْنَانِيَّةِ، تَنْتَسِبُ إِلَى أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ مَدْرَكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مَضْرُوبِ بْنِ نَزَارٍ، وَهِيَ ذَاتُ بَطُونٍ كَثِيرَةٍ؛ مِنْهَا بَنُو كَاهِلٍ، وَبَنُو غَنَمِ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدَ، بَنُو ثَعْلَبَةَ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدَ، وَبَنُو عَمْرٍ وَبَنُو قَعِينِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدَ، وَفِي بَنِي أَسَدَ بَطُونٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا؛ كَانَتْ بِلَادَهُمْ فِي مَا يَلِي الْكَرْخَ مِنْ أَرْضِ نَجْدَ، وَفِي مَجَاوِرَةِ طَيْئِ، وَيُقَالُ: إِنَّ بِلَادَ طَيْئِ كَانَتْ لِبَنِي أَسَدَ؛ فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْيَمَنِ غَلَبَهُمْ عَلَى أَجَا وَسَلْمَى، وَجَاؤُوا أَوْ اصْطَلَحُوا، وَتَجَاذَبُوا لِبَنِي أَسَدَ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا مِنْ بِلَادِ الْحِجَازِ عَلَى الْأَطْفَارِ؛ وَذَلِكَ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَنَزَلُوا الْعِرَاقَ، وَسَكَنُوا الْكُوفَةَ مِنْذُ سَنَةِ ١٩ هـ، وَمَلَكُوا الْحَلَّةَ وَجِهَاتِهَا حَتَّى سَنَةِ ٥٨٨ هـ، مِنْ بِلَادِهِمْ: الشَّرْكَةُ، شَرْقُ، جَفَافُ، الطَّيْرُ، وَالْعَوَالِيَّةُ»^(٢).

قَبِيلَةُ بَنِي أَسَدَ وَالْإِسْلَامَ

وَفِي مَا يَتَعَلَّقُ بِقَبِيلَةِ بَنِي أَسَدَ وَالْإِسْلَامَ يَنْبَغِي الْقَوْلُ إِنَّ هَذِهِ الْقَبِيلَةَ كَانَتْ لَهَا فَرِيقَانِ فِي مَوَاجِهَةِ الْإِسْلَامِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَنَقَ الْإِسْلَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَارَضَهُ. فِي بَدَايَةِ ظَهْوَرِهِ وَقَدْ شَوَّهَدَ أَنَا مِنْ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ؛ وَلَا سِيَّامَا كَانُوا يَسْكُنُونَ مَكَّةَ، مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَّالِ؛ مِثْلَ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيِّ الَّذِي كَانَ أَحَدَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْحَبَشَةِ؛ كَتَبَ عَنْهُ ابْنُ الْأَثِيرِ هَكَذَا: «قَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيِّ مِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ خَزِيمَةَ، أَبُو أَمْنَةَ بِنْتِ قَيْسِ الَّتِي كَانَتْ مَعَ أُمَّ حَبِيبَةَ، هَاجَرَ قَيْسُ إِلَى الْحَبَشَةِ مَعَ امْرَأَتِهِ بَرَكَةَ بِنْتِ يَسَارَ، مَوْلَاةُ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج ٢، ص ٢٥٤.

(٢) الكحالة، عمر، معجم قبائل العرب: ج ١، ص ٢١.

موسى بن عقبة: كان ظُفْرًا لعبيد الله بن جحش، ولأُمّ حبيبة، أخرجهُ أبو نعيم، وأبو موسى مختصرًا^(١). يوضح هذا المقال أن بعضًا من قبيلة بني أسد كانوا حاضرين في مكة، وأسلموا قبل البعثة، وبعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، ساعد بعض من قبيلة بني أسد النبي ﷺ وكانوا معه في غزواته^(٢)، ويكتب ابن هشام في مقدمته من هُرع من بني أسد لنصرة النبي في غزوة بدر: «وشهد بدرًا من حلفاء بني عبد شمس، ثم من بني أسد بن خزيمه: عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وعكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة [بن] كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وشجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وأخوه عقبة بن وهب، ويزيد بن رقيش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وأبو سنان بن محصن بن حرثان بن قيس، أخو عكاشة بن محصن، وابنه سنان بن أبي سنان، ومحرز بن نضلة بن عبد الله بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وربيعه بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد، ومن حلفاء بني كبير بن غنم بن دودان بن أسد: ثقف بن عمرو، وأخواه مالك بن عمرو، ومدلج بن عمرو. ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، وحاطب بن أبي بلتعة، وسعد مولى حاطب، ثلاثة نفر»^(٣) في غزوة أحد، ساعد بعض بني أسد النبي واستشهد بعضهم، ويكتب ابن سعد في الطبقات الكبرى عن عبد الله بن جحش، وهو من بني أسد، استشهد في غزوة أحد: «عبدُ الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه، ويكنى أبا محمد، وأمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا محمد بن صالح عن يزيد بن رومان؛ قال: أسلم عبدُ الله وعبيدُ الله وأبو أحمد بنو جحش قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم. قالوا: وهاجر عبدُ الله

(١) ابن الأثير الجزري، عز الدين، أسد الغابة: ج ٤، ص ٤١٤.

(٢) الواقدي، محمد، المغازي: ج ١، ص ٥٤ و ٦٤.

(٣) الحميري، ابن هشام، السيرة النبوية: ج ٢، ص ٥٠١-٥٠٢.

وَعُبَيْدُ اللَّهِ ابْنَا جَحْشٍ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، وَكَانَتْ مَعَ عُبَيْدِ اللَّهِ زَوْجَتُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، فَتَنَصَّرَ عُبَيْدُ اللَّهِ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَاتَ بِهَا، وَرَجَعَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى مَكَّةَ. قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ عَثْمَانَ الْجَحْشِيُّ عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: كَانَ بَنُو غَنَمِ بْنِ دُودَانَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ قَدْ أَوْعَبُوا فِي الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ رِجَالَهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ فَخَرَجُوا جَمِيعًا وَتَرَكَوْا دُورَهُمْ مُغْلَقَةً، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَأَخُوهُ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ جَحْشٍ، وَاسْمُهُ عَبْدٌ وَعُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ وَأَبُو سِنَانِ بْنِ مُحْصَنٍ وَسِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ وَشُجَاعُ بْنُ وَهْبٍ وَأَخُوهُ عُقْبَةُ بْنُ وَهْبٍ وَأَرْبُدُ بْنُ حُمَيْرَةَ وَمَعْبُدُ بْنُ نَبَاتَةَ وَسَعِيدُ بْنُ رُقَيْشٍ وَبَنُو رُقَيْشٍ وَمُحْرِزُ بْنُ نَضْلَةَ وَقَيْسُ بْنُ جَابِرٍ وَعَمْرُو بْنُ مُحْصَنٍ بِنِ مَالِكٍ وَمَالِكُ بْنُ عَمْرٍو وَصَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو وَثِقَافُ بْنُ عَمْرٍو وَرَبِيعَةُ بْنُ أَكْثَمٍ وَزَيْرُ بْنُ عُبَيْدٍ، فَتَرَلُّوا جَمِيعًا عَلَى مُبَشَّرِ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: كَانَ مِمَّنْ خَرَجَ فِي الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَوْعَبُوا رِجَالَهُمْ وَنِسَاؤَهُمْ، وَغَلَقُوا دُورَهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا خَرَجَ مُهَاجِرًا، دَارُ بَنِي غَنَمِ بْنِ دُودَانَ وَدَارُ بَنِي أَبِي الْبَكَّيْرِ وَدَارُ بَنِي مَطَّعُونَ، فَقَتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، قَتَلَهُ أَبُو الْحَكَمِ بْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيفِ الثَّقَفِيِّ. وَوَدِنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَحَمْرَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ خَالُهُ، فِي قَبْرِ وَاحِدٍ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَوْمَ قَتْلِ ابْنِ بَضْعَ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَ رَجُلًا لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، كَثِيرَ الشَّعْرِ، وَوَلِيَ تَرْكَتَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(١). يَذْكُرُ ابْنُ سَعْدٍ أَسْمَاءَ كَثِيرٍ مِنْ قَبَائِلِ بَنِي أَسَدِ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي الْغَزَاوَاتِ النَّبَوِيَّةِ^(٢) أَيْضًا، رِفَاعَةَ بِنْتُ مَسْرُوحِ الْأَسَدِيِّ، مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ، حَلِيفِ لَبْنِيِّ عَبْدِ شَمْسٍ أَوْ لَبْنِيِّ أُمِّيَّةَ بِنْتُ عَبْدِ شَمْسٍ، قُتِلَ يَوْمَ خَيْبَرَ شَهِيدًا^(٣) تُشِيرُ هَذِهِ الْأَخْبَارُ إِلَى أَنَّ كَثِيرًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ كَانُوا مِنْ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ، وَاسْتَشْهَدَ بَعْضُهُمْ فِي غَزَاوَاتِ النَّبِيِّ. عَنْ إِسْلَامِ قَبَائِلِ بَنِي أَسَدِ الْآخَرَى، يَقُولُ بَعْضُهُمْ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ الْهَجْرِيَّةِ؛ وَيَذْكُرُ

(١) الواقدي، ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ٣، ص ٦٥-٦٧.

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٧-٨٠.

(٣) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج ٢، ص ٥٠١.

اليعقوبيّ اعتناق القبائل العربيّة الإسلام تحت عنوان «وفود العرب الذين قدموا على رسول الله ﷺ»، ومنهم لبنو أسد؛ إذ يذكر عنهم قائلاً: «قدمت عليه وفود العرب، ولكل قبيلة رئيس يتقدّمهم، فقدمت مزينة ورئيسهم خزاعيّ بن عبدهم، وأشجع ورئيسهم عبد الله بن مالك، وأسلم ورئيسهم بريدة، وسلم ورئيسهم وقاص بن قمامة، وبنو ليث ورئيسهم الصّعب بن جثامة، وفزارة ورئيسهم عينة بن حصن، وبنو بكر ورئيسهم عدّيّ بن شراحيل، وطبيّ ورئيسهم عدّي بن حاتم، وبجيلة ورئيسهم قيس بن غربة، والأزد ورئيسهم صرد بن عبد الله، وختعم ورئيسهم عميس بن عمرو، ووفد نفر من طبيّ ورئيسهم زيد بن مهلهل؛ وهو زيد الخيل، وبنو شيبان... وعبد القيس ورئيسهم الأشجّ العصريّ، ثم وفد الجارود بن المعلّى فولّاه رسول الله على قومه، وأوفدت ملوك حمير بإسلامهم وفوداً؛ وهم: الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنّعمان قيل ذي رعين، وكتبوا إليه بإسلامهم فبعث إليهم معاذ بن جبل، وعكل ورئيسها خزيمة بن عاصم، وجذام ورئيسها فروة بن عمرو، وحضر موت ورئيسها وائل بن حجر الحضرميّ، والضّباب ورئيسها ذو الجوشن، وبنو أسد ورئيسها ضرار بن الأزور وقيل نقادة بن العائف، وعامر بن الطّفيل في بني عامر فرجع ولم يسلم، وأربد بن قيس رجع ولم يسلم، وبنو الحارث بن كعب ورئيسهم يزيد بن عبد المدان، وبنو تميم وعليهم عطارد بن حاجب والزّبرقان بن بدر وقيس بن عاصم ومالك بن نويرة، وبنو نهد وعليهم أبو ليلي خالد بن الصّقعب، وكنانة ورئيسهم قطن وأنس ابنا حارثة من بني عليم، وهمدان ورئيسهم ضمام بن مالك، وثمالة والحّدان فخذ من الأزد ورئيسهم مسلمة بن هزان الحّدانيّ، وباهلة ورئيسهم مطرف بن كاهن الباهليّ، وبنو حنيفة ومعهم مسيلم بن حبيب الحنفيّ، ومراد ورئيسهم فروة بن مسيك، ومهرة ورئيسهم مهري بن الأبيض»^(١).

أمّا ابن الأثير فقد أشار إلى وجود بعض بني أسد عند النّبّي ﷺ وتعليمهم القرآن قائلاً: «اجتمع بنو أسد بن خزيمة على أن يفتدوا إلى رسول الله ﷺ فوفدوا: الحضرميّ بن عامر، وضرار بن الأزور، وأبو مكعت، وسلمة بن حبّيش، ومعهم قوم من بني الزّنية، والزّنية

(١) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبيّ: ج ٢، ص ٨٠.

لقب سلمى بنت مالك بن غنم بن دودان بن أسد؛ وهي أم مالك بن مالك، فيقال لولده: بنو الزنية. وحضرمي منهم؛ فقال الحضرمي: يا محمد، إنا أتيناك نندرع الليل البهيم، في سنة شهباء، ولم ترسل إلينا، ونحن منك، تجمعنا خزيمة، حمانا منيع، ونساؤنا مواجد وأبناؤنا أنجاد أمجاد. فدعاهم إلى الإسلام؛ فقالوا: نُسلم على أن صدقات أموالنا لفقرائنا، وإن أسنتت بلادنا رحلنا إلى غيرها، وأسلموا وبايعوا. وقال رسول الله ﷺ لبني الزنية: مَنْ أتمم؟ قالوا: نحن بنو الزنية، فقال: بل أنتم بنو رشدة، قالوا: لا ندعُ اسم أينا، ولا نكون كبني محولة، يعنون بني عبد الله بن غطفان الذين كانوا بني عبد العزى، فسأهم رسول الله ﷺ بني عبد الله، فعيرهم وقالوا: بني محولة، فقال رسول الله ﷺ: أفيكم من يقول الشعر؟ قال الحضرمي: أنا قلت:

حيّ ذوي الأضغان تسب عقولهم تحيتك الحسنى فقد يرقع النغل
وإن دحسوا بالكره فاعفُ تكرّمًا وإن خنسوا عنك الحديث فلا تسلْ
فإنّ الذي يؤذيك منه سماعه وإنّ الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال رسول الله ﷺ: تعلّموا القرآن، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابًا، وأقاموا أيّامًا يتعلّمون القرآن»^(١).

تُظهر هذه التقارير أنّ قبيلة بني أسد كانت تضمّ الكثير من القبائل، أسلم الكثير منها قبل الهجرة وبعدها، وكان لها دور في نصرّة الإسلام، وتشير بعض التقارير أيضًا إلى أنّ الكثير من قبائل بني أسد الذين لم يعتنقوا الإسلام، قد اعتنقوه في السنّة التاسعة للهجرة، تظهر هذه التقارير أنّ حبيب بن مظاهر، الذي قضى ٢٥ سنة من عمره في زمن الرسول ﷺ، لم ينفصل عن تطوّرات قبيلته؛ لكنّه تعرّف الإسلام والنبيّ الأعظم ﷺ في خلال هذا الوقت من حياته؛ وهي التي سيجري مناقشتها في الموادّ الآتية من هذا البحث للمزيد من التّوضيح.

(١) ابن الأثير، عزّ الدّين، أسد الغابة: ج ١، ص ٥٠٨.

حبيب بن مظاهر في عهد النبي ﷺ

على ما قيل فإن حبيب بن مظاهر قضى ٢٥ سنة من عمره في عهد النبي ﷺ؛ ولذلك كان عارفاً برسالة النبي ﷺ ودين الإسلام عن حبيب بن مظاهر، هل كان من أصحاب النبي ﷺ أم لا؟ قد وردت أقوال كثيرة؛ فمنهم من يرى أن حبيباً كان صحابياً، ومنهم من يرى أنه من التابعين؛ وهو ما سيجري تحليله فيما يأتي.

مفهوم الصحابي

إن «صحاب» و«صحابي» مشتقان من «صَحِبَ يَصْحَبُ»، ومصدره «صحابة»، «الصحابة» تعني «الأصحاب»، كتب ابن منظور عن هذا: «صَحِبَ: صَحِبَهُ يَصْحَبُهُ صُحْبَةً، بِالضَّمِّ، وَصَحَابَةً، بِالْفَتْحِ، وَصَاحِبَةٌ: عَاشِرُهُ، وَالصَّحْبُ: جَمْعُ «الصَّاحِبِ» مِثْلَ «رَاكِبٍ» وَ«رَكِبٍ»، وَالْأَصْحَابُ: جَمَاعَةُ «الصَّحْبِ» مِثْلَ «فَرَخٍ» وَأَفْرَاحٍ. وَالصَّاحِبُ: الْمُعَاشِرُ؛ لَا يَتَعَدَّى تَعَدِّي الْفِعْلِ، أَعْنِي أَنَّكَ لَا تَقُولُ: «زَيْدٌ صَاحِبٌ عَمْرًا»، لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا اسْتَعْمَلُوهُ اسْتِعْمَالَ الْأَسْمَاءِ، نَحْوُ «غَلَامٌ زَيْدٌ»، وَلَوْ اسْتَعْمَلُوهُ اسْتِعْمَالَ الصِّفَةِ لَقَالُوا: «زَيْدٌ صَاحِبٌ عَمْرًا» أَوْ «زَيْدٌ صَاحِبٌ عَمْرٍو»، عَلَى إِرَادَةِ التَّنْوِينِ، كَمَا تَقُولُ: «زَيْدٌ ضَارِبٌ عَمْرًا»، وَ«زَيْدٌ ضَارِبٌ عَمْرٍو»، تَرِيدُ بغيرِ التَّنْوِينِ مَا تَرِيدُ بِالتَّنْوِينِ. وَالْجَمْعُ «أَصْحَابٌ»، وَ«أَصْحَابِي»، وَ«صَحْبَانٌ»، مِثْلُ «شَابٍ» وَ«شَبَّانٌ»، وَ«صِحَابٌ» مِثْلُ «جَائِعٍ» وَ«جِيَاعٌ»، وَ«صَحْبٌ» وَ«صَحَابَةٌ» وَ«صِحَابَةٌ»، حَكَاهَا جَمِيعًا الْأَخْفَشُ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى الْكَسْرِ دُونَ الْهَاءِ، وَعَلَى الْفَتْحِ مَعَهَا، وَالْكَسْرُ مَعَهَا عَنِ الْفَرَّاءِ خَاصَّةً، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ الْهَاءُ مَعَ الْكَسْرِ مِنْ جِهَةِ الْقِيَاسِ، عَلَى أَنْ تَضَافَ الْهَاءُ لِتَأْنِيثِ الْجَمْعِ. وَفِي حَدِيثِ قَيْلَةَ: «خَرَجْتُ أَبْتَغِي الصَّحَابَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١)، وَفِي الْإِصْطِلَاحِ، يَقُولُونَ: «مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ فِي زَمَنِ الْإِسْلَامِ»، وَبَعْدَ إِبْدَاءِ الْأَقْوَالِ وَالْآرَاءِ عَنِ مَفْهُومِ الصَّحَابِيِّ، يَكْتُبُ ابْنُ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ فِي التَّعْرِيفِ الْإِصْطِلَاحِيِّ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ: «مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ فِي حَيَاتِهِ مُسْلِمًا، وَمَاتَ عَلَى

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٥١٩.

إسلامه^(١)، الجنس في التعريف يشمل كلَّ مَنْ لقيه في حياته، وأمّا من رآه بعد موته قبل دفنه ﷺ فلا يكون صحابياً، كأبي ذؤيب الهذليّ الشاعر؛ فإنّه رآه قبل دفنه.

(مسلمًا): خرج به من لقيه كافراً وأسلم بعد وفاته، كرسول قيصر، فلا صحبة له. (ومات على إسلامه): خرج به من كفر بعد إسلامه ومات كافراً، أما من ارتدَّ بعده، ثمّ أسلم ومات مسلماً؛ فقال العراقيّ: «فيهم نظر»؛ لأنّ الشافعيّ وأبا حنيفة نصّاً على أنّ الرّدّة محبّطة للصحبة السابقة، كقرّة بن ميسرة والأشعث بن قيس، وجزم الحافظ ابن حجر، شيخ الإسلام ببقاء اسم الصحبة له، كمن رجع إلى الإسلام في حياته، كعبد الله بن أبي سرح، وهل يشترط لقيه في حال التبوّة أو أعمّ من ذلك، حتّى يدخل من رآه قبلها ومات على الحنيفة، كزيد بن عمرو بن نفيل، وكذا من رآه قبلها وأسلم بعد البعثة ولم يره؟ قال العراقيّ: «ولم أرَ من تعرّض لذلك»، وقد عدّ ابن مندّة زيد بن عمرو في الصحابة^(٢).

يقول الشهيد الثاني إنّ شرط الإيمان في حياة النبيّ ﷺ والوفاة في حالة الإسلام هو من الشّروط المهمة للصحابة؛ فالصّحابي: من لقي النبيّ ﷺ، مؤمناً به، ومات على الإسلام، وإن تخللت رده بين لقيه مؤمناً به وبين موته مسلماً، على الأظهر. والمراد باللقاء ما هو أعم من: المجالسة، والمباشرة، ووصول أحدهما إلى الآخر، وإن لم يكلمه، ولم يره، والتعبير «به» أولى من قول بعضهم في تعريفه: إنّ من رأى النبيّ ﷺ؛ لأنّه يخرج منه الأعمى مثل ابن أمّ مكتوم؛ فإنّه صحابيّ بغير خلاف^(٣).

والصّحابيّ في جميع التعريفات هو من لقي النبيّ ﷺ في حالة الإسلام ومات في حالة الإسلام.

(١) العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة: ج ١، ص ٨.

(٢) العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة: ج ١، ص ٩.

(٣) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، الرّعاية في علم الدراية: ص ٣٤٠.

حبيب بن مظاهر من أصحاب النبي

كما ذكر فإن ٢٥ سنة من حياة حبيب بن مظاهر كانت في عهد النبي ﷺ؛ وفي ما يأتي، مع ذكر الأدلة، توضيح هذه النقطة وتأكيدها: أنّ حبيب بن مظاهر أسلم في عهد الرسول ﷺ ولقيه أيضًا، فكان من صحابة النبي ﷺ، ولكن من الأدلة التاريخية على ذلك أنه لم يكن يعيش في المدينة المنورة، ومن الجدير بالذكر أنّ حبيب بن مظاهر؛ سواء كان من الصحابة أم لا، لا يؤثر ذلك في مكانته وكرامته، فقد بلغ حبيب بن مظاهر من المعرفة والسعادة؛ مما جعله يتفوق على كثير من أصحاب النبي ﷺ، ويساعد ابن رسول الله ﷺ في واقعة الطف، وينال مقام الشهادة الرفيع على خطى سيد الشهداء؛ وهي فضيلة سامية لا توصف، فإذا لم يثبت أنه صحابي أيضًا، فلا ينقص من شأنه شيئاً، لكن وبحسب الأدلة فإنه من المستحيل عدم اعتبار شخص مثل حبيب بن مظاهر صحابياً للرسول ﷺ، الذي له تأريخ نبيل وقيم جداً في خدمة أهل البيت ﷺ، مع العلم أنّ مثل هذا الشخص قد قضى ٢٥ سنة من عمره في عهد النبي ﷺ؛ لذلك فإن الأدلة والبراهين تشير إلى أنه كان صحابياً، وأنه كان مسلماً في عهد النبي ﷺ، وهو ما جاء في الوثائق والبراهين أيضًا أنّ حبيب بن مظاهر كان صحابياً.

الشواهد التاريخية على كون حبيب بن مظاهر صحابياً

في بعض الكتب المتعلقة بالسيرة والصحابة، ورد اسم حبيب بن مظاهر على أنه صحابي للنبي ﷺ، وهذه النقطة - في حد ذاتها - دليل على أنه التقى النبي ﷺ، وأصبح من أصحابه، ويذكر بعض كتاب السيرة والمؤرخين حبيب بن مظاهر من أصحاب النبي ﷺ، ومنهم ابن حجر العسقلاني في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة أنه من أصحاب النبي ﷺ: «حتيت بن مظاهر: بن رثاب بن الأشتر بن جحوان بن فقعس الكندي، ثم الفقعسي، له إدراك وعمر حتى قتل مع الحسين بن علي»^(١)، وفي هذا الكلام يذكر ابن حجر اسم حبيب بأنه «حتيت» ويذكره في أصحاب النبي.

(١) العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٢، ص ١٤٢.

يذكر ابن الكلبي في جمهرة النسب أيضًا أنه من أصحاب النبي ﷺ قائلًا: «فمن بني الأشر: خالد بن نضلة بن الأشر، وهو خالد المهزول، وقد رأس؛ وطليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة؛ زعموا أنه كان يعدل بألف فارس، وهو الذي ارتدّ ببني أسد يوم بزاخة؛ وأبو مهوش، وهو ربيعة بن حوط بن رباب بن الأشر، الشاعر القائل:

ألا أبلغ لديك بني تميم
فكلكم فشبشة أجمعونا

ومنهم: ربيعة بن ثعلبة بن رباب بن الأشر، وهو أبو ثور، قاتل صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد؛ الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة، الشاعر؛ وحبيب بن مظاهر بن رباب بن الأشر، قتل مع الحسين، صلوات الله عليه»^(١).

وقدمه الشاهرودي على أنه أحد أصحاب النبي ﷺ في كتاب مستدركات علم رجال الحديث قائلًا: «ونقلت عن جمع أنه ممن أدرك رسول الله ﷺ»^(٢).

يذكر مؤلف كتاب أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والرواة عنه نقلًا عن المصادر التاريخية أنّ حبيب بن مظاهر هو من أصحاب النبي ﷺ قائلًا: «أدرك النبي ﷺ، صحب عليًا عليه السلام في حروبه كلها، ونزل الكوفة، وكان من خاصته وحامل علومه؛ تشرف بخدمة رسول الله ﷺ، وسمع منه أحاديث، وكان معززًا مكرمًا بملازمته حضرة أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من الذين كتبوا إلى السبط المهدى الشهيد ودعوه إلى الكوفة، وقد لازم الإمام الحسين عليه السلام ووفى بعهده، واستشهد بكربلاء عام ٦١ هـ وكان عمره ٧٥ سنة»^(٣).

هذه الشواهد التاريخية؛ ولا سيما كتاب ابن حجر العسقلاني الذي خصّصه لمعرفة أصحاب النبي ﷺ، خير دليل على أنّ حبيب بن مظاهر كان صحابيًا، كما جاء في تعريف الصحابي، يذكر ابن حجر مصطلحات وشروطًا مهمة جدًا في تعريف الصحابي؛ وهي أنّه بحسب تعريف ابن حجر العسقلاني؛ فإنّ حبيب بن مظاهر من أصحاب النبي ﷺ.

(١) ابن الكلبي، هشام بن محمد، جمهرة النسب: ج ١، ص ١٧٠.

(٢) النّازي الشّاهرودي، علي، مستدركات علم رجال الحديث: ج ٢، ص ٣٠٣.

(٣) الأميني، محمد هادي، أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والرواة عنه: ج ١، ص ١٤٤.

الأدلة على أن حبيب بن مظاهر من الصحابة

فضلاً عن الوثائق التي وردت في المصادر التاريخية، نذكر في ما يأتي الأدلة والبراهين التي تدل على أن حبيب بن مظاهر كان صحابياً.

١. مدة حياته في زمن الرسول ﷺ

وكما ذكرنا؛ فإن حبيب بن مظاهر وُلِدَ قبل البعثة النبوية بسنة، وكان عمره ٢٥ سنة حتى وفاة الرسول ﷺ، والسؤال المهم في هذا الصدد هو: أين كان حبيب بن مظاهر في هذه الفترة وما كان رد فعله على الإسلام والنبى ﷺ؟ كما ذكرنا، في العام التاسع للهجرة، آمنت معظم القبائل العربية بالنبى ﷺ، وكان الإسلام قد وصل إلى معظم أراضي الحجاز. فهل يمكن بهذه الأوصاف أن يقال: إن حبيب بن مظاهر لم يكن على علم بالإسلام ووجود النبى ﷺ؟ الجواب عن هذا السؤال بالنفي؛ لأنه بحسب الأدلة التاريخية التي وردت في هذا الفصل؛ فإن الإسلام قد غطى كامل أرض الحجاز، وأسلمت قبائل كثيرة، بما في ذلك بني أسد. وحتى إن كثيراً من شهداء الغزوات النبوية كانوا من قبيلة بني أسد^(١). لذلك، لا يمكن القول إن حبيب بن مظاهر لم يكن على علم بالإسلام ووجود النبى ﷺ مطلقاً، باعتبار أن حبيب بن مظاهر أصبح بعد وفاة النبى ﷺ من الصحابة الخاصين بالإمام علي، والإمام الحسن، والإمام الحسين عليهم السلام، ولا شك أن وصوله إلى هذا العلم في معرفة الإمام علي وأولاد رسول الله ﷺ كان نتيجة علم حبيب بن مظاهر ومعرفته في عهد النبى ﷺ.

(١) الواقدي، ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ٣، ص ٦٥-٦٧.

٢. الشيعة وصحابي خاص من أهل البيت

من أهم الحقائق القطعية عن شخصية حبيب بن مظاهر، أنه كان من خاصة أصحاب الأئمة، وكان شيعياً خاصاً، يصفه الشيخ الطوسي بأنه من خاصة أصحاب الإمام علي، والإمام الحسن، والإمام الحسين^(١)، وقد ذكره السيد محسن الأمين قائلاً: «وفي لسان الميزان، حبيب بن مظهر الأسدي، روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ذكره الطوسي في رجال الشيعة. وقال عمرو الكشي: كان من أصحاب علي، ثم كان من أصحاب الحسن والحسين»^(٢).

لذلك، فلا شك في أنه كان من خاصة شيعة الإمام علي، والإمام الحسن، والإمام الحسين، لكن النقطة المهمة هنا هي: على أي أساس وصل حبيب إلى هذه المعرفة العميقة والفهم عن الإمام علي والأئمة من بعده؟ كيف تحقق الاعتراف بالإمام علي وأولاد رسول الله عند حبيب بن مظاهر؟ ألا يمكن الاستدلال على أن هذا العلم العميق والمعرفة الصحيحة كانا عن طريق النبي ﷺ؟ كان حبيب بن مظاهر من أصحاب الإمام علي الخاصين وشيعته، ليس فقط في خلال خلافة الإمام علي، بل قبل ذلك أيضاً، وهذا يدل على أن حبيباً كان يمتلك علماً ومعرفة بمكانة الإمام علي وفضائله؛ هذه النقطة دليل على أنه يمكن القول إن معرفته بمقام الإمام علي والأئمة من بعده جاءت من طريق النبي ﷺ وكلامه؛ مما يدل على أنه التقى النبي ﷺ وسمع منه عن مكانة الإمام علي والأئمة من بعده.

لتوضيح هذا الأمر، يذكر تاريخ الشيعة في زمن النبي ﷺ؛ إذ يقول أبو حاتم الرازي: «إن أول اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ هو الشيعة»^(٣)، وقد كتب محمد كرد علي عن هذا الموضوع قائلاً: «عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاته علي في عصر رسول الله ﷺ؛ مثل سلمان الفارسي القائل: بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والالتزام

(١) الطوسي، محمد بن حسن، رجال الطوسي: ج ١ ص ٦٠.

(٢) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة: ج ٤، ص ٥٥٤.

(٣) ستودارد، لوثروب، حاضر العالم الإسلامي: ج ١، ص ١٨٨.

بعلي بن أبي طالب والموالاته له، ومثل أبي سعيد الخدري الذي يقول: أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة. ولما سُئِلَ عن الأربع قال: الصَّلَاةُ، وَالزَّكَاةُ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالْحَجُّ، قِيلَ: فَمَا الْوَاحِدَةُ الَّتِي تَرَكُوهَا؟ قَالَ: وَلايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قِيلَ لَهُ: أَهِيَ مَفْرُوضَةٌ مَعَهُنَّ؟ قَالَ: هِيَ مَفْرُوضَةٌ مَعَهُنَّ، وَمِثْلُ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ، وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، وَحَدِيفَةَ بْنِ الِيمَانَ، وَذِي الشَّهَادَتَيْنِ خَزِيمَةَ بْنِ ثَابِتٍ، وَأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، وَخَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، وَقَيْسِ بْنِ سَعْدِ عِبَادَةَ، وَكَثِيرٍ مِنْ أَمْثَالِهِمْ»^(١).

وقد أشار النبي الكريم ﷺ إلى الأشخاص الذين كانوا تابعين للإمام عليّ وآمنوا بمكانته بكلمة «الشَّيْعَةَ»، وشدّد على ذلك في عدّة خطب متعدّدة. يروي الفيروزآبادي أحاديث من مصادر العامّة تحت تفسير الآية السابعة من سورة البيّنة عن فضل الإمام عليّ وشيعته، ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٢)، وروى بسنده عن أبي الجارود عن محمّد بن عليّ: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، فقال النبي ﷺ: «أنت يا عليّ وشيعتك»، في سورة لم يكن الذين كفروا، قال: أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبي ﷺ، فأقبل عليّ عليه السلام؛ فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ونزلت الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، فكان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل عليّ عليه السلام قالوا: «جاء خير البرية»، وقال أيضًا: أخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعًا: «عليّ خير البرية»، وقال أيضًا: أخرج ابن عدي عن ابن عباس؛ قال: لما نزلت الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين»، وقال أيضًا: أخرج ابن مردويه عن عليّ عليه السلام قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألم تسمع قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾»

(١) كرد علي، محمّد بن عبد الرزاق بن محمّد، خطط الشام: ج ٦، ص ٢٤٥.

(٢) سورة البيّنة: الآية ٧.

أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جثت الأمم للحساب، تدعون غرًا محجّلين»، قال: الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال: أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس: إن هذه الآية لما نزلت، قال ﷺ لعلّي ﷺ: «هو أنت وشيعتك؛ تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضابًا مقمحين»، قال: «ومن عدوي؟» قال: «من تبرأ منك ولعنك»، أقول: وذكره الشبلنجي أيضًا في نور الأبصار^(١). تُظهر هذه الروايات بوضوح أنّ المفهوم الشيعي للإمام عليّ ﷺ قد شُرح بالكامل في زمن النبي ﷺ كما وردت روايات متعدّدة للنبي ﷺ بشأن مكانة الإمام عليّ ﷺ وكرامته؛ ممّا تدلّ على أنّ الاعتقاد بولاية الإمام عليّ ﷺ كان ثابتًا منذ زمن النبي ﷺ، بما في ذلك ما ورد في هذه الروايات:

«عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»^(٢).

«إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ بَعْدِي»^(٣).

«انتهيت ليلة أُسري بي إلى السدرة المنتهى فأوحى إليّ في عليّ بثلاث: إنه إمام المُتقين و سيّد المُسلمين وقائد الغر المحجلين إلى جنّات النعيم»^(٤).

«فإن وصي وموضع سري وخير من أترك وينجز عدّتي ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب»^(٥).

«إِنَّ عَلِيًّا وَلِيَّكُمْ، فَاحْبَبْ عَلِيًّا فَإِنَّهُ يَفْعَلُ بِمَا يُؤْمَرُ»^(٦).

«ما تُريدون من عليّ؟ ما تُريدون من عليّ؟ عليّ منّي وأنا من عليّ وعليّ وليّ كلّ

مؤمن بعدي»^(٧).

(١) الفيروزآبادي، السيّد مرتضى، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج ١ ص ٢٧٨.

(٢) النّشابوري، أبو عبد الله الحاكم محمّد بن عبد الله بن محمّد، مستدرک علی الصحیحین: ج ٣، ص ١٢٤.

(٣) النّشابوري، أبو عبد الله الحاكم محمّد بن عبد الله بن محمّد، مستدرک علی الصحیحین: ج ٣، ص ١١٠.

(٤) النّشابوري، أبو عبد الله الحاكم محمّد بن عبد الله بن محمّد، مستدرک علی الصحیحین: ج ٣، ص ١٣٨.

(٥) الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج ٩، ص ١١٨.

(٦) متقى الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ج ١١،

ص ٦١٢.

(٧) الترمذي، محمّد بن عيسى، سنن الترمذي: ج ٥، ص ٢٩٧؛ السّائي، أحمد بن عليّ، سنن السّائي:

«أنت منِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(١).

لا شكَّ في أنَّ حبيب بن مظاهر، بما امتلكه من مكانة وعلم، قد استمع إلى كلام النَّبِيِّ ﷺ عن الإمام عليٍّ عليه السلام، وبهذا العلم أصبح من شيعة الإمام عليٍّ عليه السلام الخاصَّة، وكذلك من المخلصين للأئمة من بعده، ولا يُستبعد أن يكون حبيب بن مظاهر حاضرًا في حجِّ النَّبِيِّ ﷺ الأخير، وقد استمع إلى خطبته في ولاية الإمام عليٍّ والأئمة من بعده في واقعة غدير خم، ولذلك فإنَّ الدليل على أنَّ حبيب بن مظاهر كان على علم بمقام الإمام عليٍّ والأئمة من بعده، يتمثل في كونه من الشيعة، ومن خاصَّة أصحاب الأئمة، وهذا يدلُّ على أنَّ علمه وفقهه قد تشكَّلا على وفق تعاليم الرِّسول الكريم ﷺ، ونتيجة لطاعته لأوامر النَّبِيِّ ﷺ. وكما قيل؛ فإنَّ تأكيد خلافة الإمام عليٍّ عليه السلام وولايته، ومحبته للأئمة من بعده، كان بتوجيه النَّبِيِّ ﷺ مباشرة، وعندئذٍ لا يمكن القول إنَّ حبيب بن مظاهر وصل إلى هذا العلم والمعرفة بأهل البيت دون تعليم أو توجيه من الرِّسول ﷺ.

٣. أقوال الإمام الحسين عليه السلام في وصف حبيب بن مظاهر

في الرِّسالة التي كتبها الإمام الحسين عليه السلام إلى حبيب بن مظاهر، استخدم الإمام عبارات تشير إلى موقف حبيب بن مظاهر؛ وهذه العبارات تدلُّ على أنَّ حبيب بن مظاهر كان يعرف مكانة أهل البيت عليه السلام عند رسول الله ﷺ، وهذا يشير إلى أنَّ حبيبًا قد شهد طريقة النَّبِيِّ ﷺ في التعامل مع أهل البيت عليه السلام، الإمام الحسين عليه السلام يخاطب حبيب قائلاً: «مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الرَّجُلِ الْفَقِيهِ حَبِيبِ بْنِ مَظَاهِرٍ، أَمَّا بَعْدُ، يَا حَبِيبُ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ قَرَابَتَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَأَنْتَ أَعْرَفُ بِنَا مِنْ غَيْرِكَ، وَأَنْتَ ذُو شَيْمَةِ وَغَيْرَةٍ، فَلَا تَبْخُلْ عَلَيْنَا بِنَفْسِكَ، يَجَازِيكَ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

ج ٥، ص ١٣٣.

(١) الحسكاني، عبیدالله بن عبدالله، شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٢١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،

ج ١٨، ص ٢٤؛ ابن حنبل، مسند ابن حنبل: ج ٣، ص ٥٠.

(٢) الصِّمِّيَّانِي، حيدر، موسوعة في ظلال شهداء الطِّفِّ: ج ٢، ص ٧٩.

العبارة اللافته في رسالة الإمام الحسين عليه السلام هذه، التي تدلّ على صحبة حبيب بن مظاهر، هي قوله: «فأنت تعلم قرابتنا من رسول الله وأنت أعرف بنا من غيرك»، لم يكن كون الإمام الحسين عليه السلام من سبط النبي صلى الله عليه وآله نقطة خاصّة لا يعرفها إلا حبيب بن مظاهر، بل كان الجميع في ذلك الزمان يعلمون جيّداً أنّ الإمام الحسين عليه السلام سبط النبي صلى الله عليه وآله، ولم يكن هناك شكّ في ذلك لدى أيّ شخص، ولكن النقطة المهمّة هنا هي أنّ الإمام الحسين عليه السلام يخاطب حبيباً ويذكر قرابته مع النبي صلى الله عليه وآله ويؤكد أنّ حبيباً يعرف مكانة الإمام الحسين عليه السلام في نظر رسول الله صلى الله عليه وآله، أكثر من غيره.

هذا المقال يظهر بوضوح أنّ حبيب بن مظاهر كان له معرفة عميقة بمكانة الإمام الحسين عليه السلام في نظر رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذه الكلمات من الإمام الحسين عليه السلام وهذه المعرفة العميقة لحبيب يمكن أن تكون دليلاً على أنّ حبيباً كان يدرك وجود رسول الله صلى الله عليه وآله ويلحظ سلوكه مع أهل البيت عليهم السلام، ومنذ زمن النبي صلى الله عليه وآله، أصبح حبيب من الشيعة ومحبي أهل البيت عليهم السلام، وقد نال هذا العلم العميق.



الفصل الثالث

حبيب بن مظاهر

في عهد الإمام عليّ عليه السلام

(من سنة ٢٥ إلى سنة ٥٥ من عمره الشريف)



حبيب بن مظاهر في عهد الإمام علي عليه السلام

(من سنة ٢٥ إلى سنة ٥٥ من عمره الشريف)

من أبرز الحقب التاريخية في حياة حبيب بن مظاهر هي تلك التي كان فيها أحد أصحاب الإمام علي عليه السلام المميزين، يُجمع المفكرون على أنّ حبيب بن مظاهر كان من الأصحاب الخاصين للإمام علي عليه السلام.

يكتب الشيخ المفيد في كتاب الاختصاص عن مكانة حبيب بن مظاهر عند الإمام علي عليه السلام: «وَمِنْ أَصْفِيَاءِ أَصْحَابِهِ عَمْرُو بْنُ الْحُمَيْقِ الْخَزَاعِيُّ عَرَبِيٌّ، وَمَيْثَمُ التَّمَارِيُّ، وَهُوَ مَيْثَمُ بْنُ يَحْيَى مَوْلَى، وَرُشَيْدُ الْهَجْرِيِّ، وَحَبِيبُ بْنُ مُظَهَّرِ الْأَسَدِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ»^(١).

كما يذكره الشيخ الطوسي بأنه من خاصة أصحاب الإمام علي عليه السلام، وأحد أفراد شرطة الخميس، ويكتب: «وعداده في الأنصار؛ وقد عدّ من الأركان الأربعة: حبيب بن مظاهر الأسدي؛ الحارث الهمداني الحالقي؛ حكيم بن سعد الحنفي، وكان من شرطة الخميس، يُكنى أبا يحيى؛ وحجر بن عدي الكندي»^(٢)، ويضيف السماوي في هذا السياق قائلاً: «قال أهل السير: إنّ حبيباً نزل الكوفة، وصحب علياً في جميع حروبه، وكان من خاصته وحملة علومه»^(٣). سنستعرض حياة حبيب بن مظاهر في خلال حقتين زمنيّتين من حياة الإمام علي عليه السلام: الأولى تمتد من وفاة النبي صلى الله عليه وآله إلى خلافة الإمام علي عليه السلام، والثانية من بداية خلافته إلى استشهاده.

(١) المفيد، محمد بن نعمان، الاختصاص، ص ٣.

(٢) الطوسي، محمد بن حسن، رجال الطوسي، ص ٦٠.

(٣) السماوي، الشيخ محمد طاهر، أبصار العين: ج ١، ص ١٠١.

حياة الإمام عليّ من وفاة الرسول إلى خلافته (من سنة ٢٥ إلى سنة ٥٠ لحبيب بن مظاهر) لا تتوافر معلومات وافية عن هذه الحقبة من حياة حبيب بن مظاهر؛ وهي الحقبة التي تزامنت مع أحداث السقيفة واغتصاب الخلافة من الإمام عليّ عليه السلام وانسحابه من قيادة الأمة الإسلامية، إذ يصف الشيخ المفيد أحداث وفاة النبي صلى الله عليه وآله ووصيته للإمام عليّ عليه السلام قائلاً: «فلما كان من الغد، حُجِبَ النَّاسُ عَنْهُ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْمَرَضُ، وَكَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لَا يَفَارِقُهُ إِلَّا لِلضَّرُورَةِ، فَقَامَ الْإِمَامُ عَلِيُّ لِبَعْضِ شَأْنِهِ، فَأُفَاقَ النَّبِيُّ إِفَاقَةً وَافْتَقَدَ عَلِيًّا، فَقَالَ وَأَزْوَاجُهُ حَوْلَهُ: «ادْعُوا لِي أَخِي وَصَاحِبِي»، لَكِنَّ الْمَرَضَ عَاوَدَهُ، فَأُصِّمَتْ (أَيْ: لَمْ يَسْتِطِعِ الْكَلَامَ). فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «ادْعُوا لَهُ أَبَا بَكْرٍ»، فَدُعِيَ أَبُو بَكْرٍ، وَدَخَلَ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَلَمَّا فَتَحَ النَّبِيُّ عَيْنَيْهِ، نَظَرَ إِلَيْهِ وَأَعْرَضَ عَنْهُ بِوَجْهِهِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «لَوْ كَانَ لَهُ إِلَيَّ حَاجَةٌ لِأَفْضَى بَهَا إِلَيَّ»، ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ. بَعْدَ ذَلِكَ أَعَادَ النَّبِيُّ قَوْلَهُ ثَانِيَةً: «ادْعُوا لِي أَخِي وَصَاحِبِي»، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: «ادْعُوا لَهُ عَمْرٌ»، فَدُعِيَ عَمْرٌ، وَلَمَّا حَضَرَ، رَأَى النَّبِيُّ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَانصَرَفَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ مَرَّةً ثَالِثَةً: «ادْعُوا لِي أَخِي وَصَاحِبِي»، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ادْعُوا لَهُ عَلِيًّا؛ فَإِنَّهُ لَا يَرِيدُ غَيْرَهُ»، فَدُعِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، أَوْ مَأَى إِلَيْهِ النَّبِيُّ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَانجَاهَ طَوِيلًا، ثُمَّ قَامَ عَلِيٌّ وَجَلَسَ نَاحِيَةَ حَتَّى أَغْفَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ لَهُ النَّاسُ: «مَا الَّذِي أَوْعَزَ إِلَيْكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟»، فَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عليه السلام: «عَلَّمَنِي أَلْفَ بَابٍ، فَتَحَ لِي كُلَّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ، وَوَصَّانِي بِمَا أَنَا قَائِمٌ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(١).

تُبرِزُ هَذِهِ الرِّوَايَةُ مَكَانَةَ الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام وَخُصُوصِيَّتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؛ فَقَدْ أَوْصَى إِلَيْهِ بِعَلْمِهِ وَأَسْرَارِهِ؛ مِمَّا يَعْكُسُ دَوْرَهُ الْمَحُورِيِّ فِي الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صلى الله عليه وآله، وَبَيْنَمَا كَانَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عليه السلام وَبَنُو هَاشِمٍ مَنشَغِلِينَ بِتَجْهِيزِ النَّبِيِّ وَدَفْنِهِ، اجْتَمَعَ بَعْضُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَامِرُ بْنُ أَبِي عَيْبَةَ الْجِرَاحِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ، وَثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، وَعَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ، فِي مَكَانٍ يُسَمَّى سَقِيْفَةَ بَنِي سَاعِدَةَ لِلتَّشَاوُرِ بِشَأْنِ مَسْأَلَةِ الْحُكُومَةِ. وَبَعْدَ مَشَاجِرَاتِ

(١) المفيد، محمد بن نعمان، الارشاد: ج ١، ص ١٨٥.

بينهم، اختاروا أخيراً أبا بكر خليفةً، متجاهلين حادثة الغدير^(١)، وفي فترة الخلفاء الثلاثة، التي امتدت ٢٥ عاماً، نجح الإمام عليّ عليه السلام في تقديم كثير من الخدمات العلميّة والاجتماعيّة للإسلام والمسلمين؛ ومن أبرز هذه الخدمات:

١. جمع القرآن الكريم.
 ٢. مشاورة الخلفاء في مختلف القضايا.
 ٣. رعاية الفقراء والمحتاجين.
 ٤. تحرير العبيد؛ فقد اشترى وأعتق نحو ألف عبد.
 ٥. الزراعة وغرس الأشجار وحفر القنوات.
 ٦. بناء المساجد، ومنها:
 - مسجد الفتح في المدينة المنورة.
 - مسجد قرب قبر حمزة (رضي الله عنه).
 - مسجد في الميقات.
 - مسجد في الكوفة.
 - مسجد في البصرة.
- كما أوقف الإمام عليّ عليه السلام أماكن وعقارات يُقدّر دخلها السنويّ بنحو ٤٠,٠٠٠ دينار؛ ممّا يدلّ على اهتمامه الكبير بتنمية المجتمع وخدمة المسلمين^(٢).
- كان من أبرز أعمال الإمام عليّ عليه السلام تدريب الطلاب والصّحابة المميّزين، وتعليمهم تعاليم القرآن والدين. وقد قسّم العلامة المظفر أصحاب الإمام عليّ على قسمين في ضوء الظروف التي مرّ بها؛ قبل خلافة الإمام وبعدها. ويُدرج حبيب بن مظاهر في ضمن خاصّة أصحابه في الحقبة الأولى؛ أي: قبل خلافة الإمام. وكتب عن ذلك قائلاً: «كان لأمير المؤمنين عليه السلام عصران بعد الرسول ﷺ:

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ٦، ص ٥.

(٢) ابن شهر آشوب، محمّد بن عليّ، مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ١٢٣.

الأوّل: ما كان فيه جليس البيت، لا يزوره أحد إلا قليل من الناس، ولا يزور أحدًا إلا قليلاً؛ لأنّ قرب النَّاس منه وقربه منهم يجعله ويجعلهم عرضة للتكيل؛ أجل!، كان يخرج من زاوية البيت إلى زاوية المسجد للعبادة أو الإفتاء، وهذه ظاهرة لا مجال للمكيدة فيها؛ إذ ليس فيها همس ولا دونها ستار؛ فالعذر فيها والاعتذار منها ذو فسحة واسعة، ولكن من الذي يجعل نفسه هدفاً للوم فيحتاج إلى الاعتذار؟ وعسى ألا يجديّه، وقد يفاجئه العقاب قبل الإنذار.

وفي العصرين كان له صفوة من الأصحاب يستدرّ بهم الغمام. وقد بقي لديه من أهل العصر الأوّل للعصر الثاني فئة أمثال: عمّار بن ياسر، وجابر الأنصاري، وابن عبّاس، وحبيب بن مظاهر، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وقيس بن سعد، وأبي رافع، ومحمّد بن أبي بكر، وحجر بن عدّي الكندي، ونظائرهم، وقد أنتج العصر الثاني زمرة ندر أن يكون لهم مثال في الدهر، كزيد وصعصعة ابني صوحان، وأويس القرني، والأصبغ بن نباتة، وعليّ وعبيد الله ابني أبي رافع، ومالك الأشتر، ورُشيد الهجري، وميثم التمار، وكميل بن زياد، وأشباههم. وكان هؤلاء مثلاً للفضيلة وكرم الأخلاق، وخزانة للعلم والأسرار^(١).

يتضح من هذا البيان أنّ حبيب بن مظاهر كان من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام المقرّبين ما قبل الخلافة. ولهذا السبب، عندما هاجر الإمام إلى الكوفة، تبعه حبيب للقاء الإمام هناك، وذكر السّماوي: «قال أهل السير: إنّ حبيباً نزل الكوفة، وصحب عليّاً في حروبه كلّها، وكان من خاصّته وحمله علومه»^(٢)، وتشير عبارة «نزل الكوفة» إلى أنّ حبيباً لم يكن من سكّان الكوفة أصلاً، بل كان مع الإمام في المدينة المنوّرة، ثمّ انتقل إلى الكوفة بعد هجرة الإمام إليها، وعلى أيّ حال؛ فإنّ الدلائل تشير بوضوح إلى أنّ حبيب بن مظاهر كان من أصحاب الإمام عليّ الخاصّين في الكوفة في ما قبل خلافته.

(١) المظفر، محمّد حسين، ميثم التمار، ص ٩-١٠.

(٢) السّماوي، إِبصار العين: ج ١، ص ١٠١.

حياة الإمام عليّ عليه السلام في حقبة الخلافة (من ٥٠ إلى ٥٥ سنة لحبيب بن مظاهر)

بعد مقتل عثمان، توجه الناس إلى الإمام عليّ عليه السلام وطلبوا منه أن يتولّى خلافة المسلمين. في البداية رفض الإمام ذلك، لكنّه قبل بالخلافة بعد إصرار الناس الشديد، ليقوم بما فيه مصلحة الدّين والمسلمين.

يروى الطّبريّ هذا الحدث قائلاً: «عن محمّد بن الحنفية، قال: كنت مع أبي حين قُتل عثمان، فقام فدخل منزله، فأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إنّ هذا الرّجل قد قُتل، ولا بدّ للنّاس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحقّ بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقه، ولا أقرب من رسول الله، فقال: «لا تفعلوا، فإنّي أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً»، فقالوا: «لا والله ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك»، قال: «ففي المسجد؛ فإنّ بيعتي لا تكون خفية، ولا تكون إلّا عن رضا المسلمين»، ويكمل قائلاً: «قال سالم بن أبي الجعد: فقال عبد الله بن عباس: فكرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يُشغَبَ عليه، وأبى إلّا المسجد، فلمّا دخل، دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ثمّ بايعه النّاس. وحدثني جعفر، قال: حدثنا عمرو وعليّ، قالوا: حدثنا حسين، عن أبيه، عن أبي ميمونة، عن أبي بشير العباديّ، قال: كنت بالمدينة حين قُتل عثمان، واجتمع المهاجرون والأنصار، فيهم طلحة والزبير، فأتوا عليّاً فقالوا: «يا أبا الحسن، هلمّ نبايعك»، فقال: «لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به»، فقالوا: «ما نختار غيرك»، قال: فاختلطوا إليه مراراً بعد مقتل عثمان، ثمّ أتوه في آخر ذلك فقالوا: «إنّه لا يصلح النّاس إلّا بإمرة، وقد طال الأمر»، فقال لهم: «إنكم قد اختلفتم إليّ وأنتموني، وإني قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم، وإلا فلا حاجة لي فيه»، قالوا: «ما قلت من شيء قبلناه إن شاء الله»، فجاء فصعد المنبر، فاجتمع النّاس إليه؛ فقال: «إنّي كنت كارهاً لأمركم، فأبيتم إلّا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، إلّا أن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟» قالوا: «نعم»، قال: «اللّهم اشهد عليهم»، ثمّ بايعهم على ذلك، قال أبو بشير: «وأنا يومئذٍ عند منبر رسول الله صلى الله عليه وآله قائم أسمع ما يقول»^(١).

(١) الطّبريّ، محمّد بن جرير، تاريخ الطّبريّ: ج ٤، ص ٤٢٧-٤٢٨.

ذُكِرَ تَأْرِيخُ بَيْعَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام وَخِلَافَتِهِ فِي سَنَةِ ٣٥ هـ. هَكَذَا يَصِفُ ابْنُ عَسَاكِرِ التَّأْرِيخِ الدَّقِيقَ لِبَيْعَةِ الْإِمَامِ: «بُوعِ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بِالْمَدِينَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ قُتِلَ عُثْمَانُ، لِاثْنَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ؛ فَاسْتَقْبَلَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ»^(١).
 فِي مِثْلِ هَذَا التَّأْرِيخِ، كَانَ عَمْرُ حَبِيبِ بْنِ مَظَاهِرٍ يَقَارِبُ الْخَمْسِينَ عَامًا.
 خِلَافًا لِغَيْرِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ، كَانَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عليه السلام يَتَعَامَلُ بِالْعَدْلِ بَيْنَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ أَيِّ فِتْنَةٍ؛ يَصِفُ الشَّيْخُ الْمَفِيدُ هَذِهِ الْعَدَالَةَ وَجُهُودَ الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام فِي إِقَامَةِ الْمَسَاوَاةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، قَائِلًا: «وَقَالَ: أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الظُّلْمَةَ، ثُمَّ تَرَكَ التَّفْضِيلَ لِنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ عَلِيٍّ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، دَخَلَتْ عَلَيْهِ أخته أم هانئ بنت أبي طالب، فدفع إليها عشرين درهماً، فسألت أم هانئ مولاتها العجمية: كم دفع إليك أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقالت: عشرين درهماً، فانصرفت مسخطة، فقال لها: انصرفي رحمك الله؛ ما وجدنا في كتاب الله فضلاً لإسماعيل على إسحاق»، وَيُضِيفُ الشَّيْخُ الْمَفِيدُ فِي ذِكْرِ بَعْضِ الْمَوَاقِفِ الَّتِي تَجَسَّدَ عَدَالَةُ الْإِمَامِ: «وَبُعِثَ إِلَيْهِ مِنْ خِرَاسَانَ بَنَاتُ كَسْرَى، فَقَالَ لهنَّ: أَرَوَّجكنَّ؟ فَقُلْنَ: لَه: لَا حَاجَةَ لَنَا فِي التَّرْوِيجِ، فَإِنَّهُ لَا أَكْفَاءَ لَنَا إِلَّا بَنُوكِ، فَإِنْ زَوَّجْتَنَا مِنْهُنَّ رَضِينَا، فَكْرَهُ أَنْ يُوَثِّرَ وَوَلَدَهُ بِمَا لَا يَعْمُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ»، «وَبُعِثَ إِلَيْهِ مِنَ الْبَصْرَةِ تَحْفَةٌ مِنْ غَوْصِ الْبَحْرِ لَا تُدْرَى قِيمَتُهَا، فَقَالَتْ لَهُ ابْنَتُهُ أُمُّ كَلْثُومٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَجَمَّلُ بِهِ وَيَكُونُ فِي عُنُقِي؟ فَقَالَ: يَا أَبَا رَافِعٍ، أَدْخَلَهُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ، لَيْسَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ حَتَّى لَا تَبْقَى امْرَأَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَلَهَا مِثْلُ ذَلِكَ»، وَيَخْتَمُّ الْمَفِيدُ بِقَوْلِهِ: «قَامَ خَطِيبًا بِالْمَدِينَةِ حِينَ وُيِّيَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ، اعْلَمُوا وَاللَّهِ أَنِّي لَا أَرَزُّوكُمْ مِنْ فَيْئِكُمْ شَيْئًا مَا قَامَ لِي عِدْقٌ بِيثْرٍ، أَفْتَرَوْنِي مَانِعًا نَفْسِي وَوَلَدِي وَمُعْطِيكُمْ؟ وَلَا سَوِيْنَ بَيْنَ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ»^(٢).

(١) ابن عساكر، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تأريخ مدينة دمشق: ج ٤٢، ص ٤٣٧.

(٢) المفيد، محمد بن نعمان، الاختصاص: ص ١٥١.

عَبَّرَ الإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنِ فِلْسَفَةِ قَبُولِهِ الْخِلَافَةَ وَسَعِيهِ إِلَى تَحْقِيقِ الْعَدْلِ وَمِحَارِبَةِ الظُّلْمِ، فَقَالَ: «أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِلَّا يُقَرُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَعْبِ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلِيهَا، وَلَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ»^(١)، وبسبب عدالة الإمام عليّ عليه السلام، وقف بعض الناس بوجهه؛ لأنّ مصالحهم كانت في خطر، وفيما يأتي يُذكر دور حبيب بن مظاهر ومكانته في خلافة الإمام عليّ عليه السلام.

شرطة الخميس

من خدمات حبيب بن مظاهر في خلافة الإمام عليّ عليه السلام أنّه كان عضواً في شرطة الخميس، يذكر الشيخ الطوسي حبيباً على أنّه أحد أفراد شرطة الخميس، ويكتب: «وعداده في الأنصار، وقد عدّ من الأركان الأربعة: حبيب بن مظاهر الأسديّ، الحارث الهمدانيّ الحالقيّ، حكيم بن سعد الحنفيّ. وكان من شرطة الخميس، يُكنّى أبا يحيى»^(٢).

في شرح ذلك، يقدّم الشيخ المفيد حبيب بن مظاهر باعتباره أحد أصحاب الإمام عليّ عليه السلام المختارين، ويكتب: «عن أحمد بن أبي عبد الله، قال: قال عليّ بن الحكم: أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين قال لهم: تَشَرُّطُوا فَإِنَا أَشَارِطُكُمْ عَلَى الْجَنَّةِ، وَلَسْتُ أَشَارِطُكُمْ عَلَى ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ؛ إِنَّ نَبِيَّنَا ﷺ فِيمَا مَضَى قَالَ لِأَصْحَابِهِ: تَشَرُّطُوا، فَإِنِّي لَسْتُ أَشَارِطُكُمْ إِلَّا عَلَى الْجَنَّةِ، وَهُمْ: سلمان الفارسيّ، والمقداد، وأبو ذرّ الغفاريّ، وعمّار بن ياسر، وأبو ساسان، وأبو عمرو الأنصاريّان، وسهل بدري، وعثمان ابنا حنيف الأنصاري، وجابر بن عبد الله الأنصاريّ. ومن أَصْفِيَاءِ أَصْحَابِهِ: عمرو بن الحمق الخزاعيّ، وهو عربيّ، وميثم التّمّار، وهو ميثم بن يحيى مولى، ورُشيد الهجريّ، وحبيب بن مظاهر الأسديّ، ومحمّد بن أبي بكر»^(٣).

(١) الشّريف الرّضيّ، محمّد بن الحسين، نهج البلاغة: خطبة ٣.

(٢) الطّوسي، محمّد بن حسن، رجال الطّوسي: ج ١، ص ٦٠.

(٣) المفيد، محمّد بن نعمان، الاختصاص: ص ٣-٢.

ويذكر الطَّرِيحِيُّ مصطلح «شرطة الخميس» قائلاً: «والخميس بالفتح: الجيش، وسُمِّيَ به لأنه يتكوّن من خمسة أقسام: الميمنة، والميسرة، والمقدّمة، والسّاقّة، والقلب. و«شرطة الخميس» هم أعيانه. ومنه حديث عبد الله بن يحيى الحضرمي: «إنك وأباك من شرطة الخميس» وإنما سُمّوا شرطة، قيل: من الشرط وهو العلامة؛ لأنّ لهم علامة يُعرفون بها، أو من الشرط وهو التّهَيُّؤُ؛ لأنّهم متهيّئون لدفع الخصم. وقوله: «إنك وأباك من شرطة الخميس» يريد أنّها من أعيان حزبنا يوم القيامة»^(١).

يروى الشيخ المفيد رواية عن الأصبع بن نباتة في سبب تسمية «شرطة الخميس» قائلاً: «عَنْ رَجُلٍ عَنِ الْأَصْبَعِ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ سُمِّيَتْ شُرْطَةُ الْخَمِيسِ يَا أَصْبَعُ؟ فَقَالَ: إِنَّا ضَمْنَا لَهُ الذُّبْحَ وَضَمْنَا لَنَا الْفَتْحَ»^(٢).

كانت «شرطة الخميس» مكوّنة من القوّات النّخبية، المؤمنة، المجتهدة، والمطيعّة التي خدمت الإمام عليّاً عليه السلام في الحقبة الصّعبة التي كان فيها في العراق، إنّ وجود شخصيّات إسلاميّة بارزة في هذا الجيش هو دليل على عظمتها، وكان لأعضاء هذه الفرقة ميزة خاصّة على القوّات الأخر بسبب خصائصهم المتميّزة، وردّ الأصبع بن نباتة على سؤال بشأن مكانة الإمام لدى شرطة الخميس قائلاً: «مَا أَدْرِي مَا تَقُولُ إِلَّا أَنْ سُبُوفَنَا كَانَتْ عَلَى عَوَاتِقِنَا فَمَنْ أَوْمَى إِلَيْهِ صَرَبْنَاهُ بِهَا، وَكَانَ يَقُولُ لَنَا: تَشَرَّطُوا، فَوَاللَّهِ مَا اشْتَرَا طُكْمٌ لِدَهَبٍ وَلَا لِفِضَّةٍ وَمَا اشْتَرَا طُكْمٌ إِلَّا لِلْمَوْتِ، إِنْ قَوْمًا مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَشَارَطُوا بَيْنَهُمْ فَمَا مَاتَ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَانَ نَبِيِّ قَوْمِهِ أَوْ نَبِيِّ قَرِيْبَتِهِ أَوْ نَبِيِّ نَفْسِهِ، وَإِنَّكُمْ لَبِمَنْزِلَتِهِمْ غَيْرَ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ بِأَنْبِيَاءَ»^(٣).

فضلاً عن المشاركة في الحرب، كانت هذه المجموعة مسؤولة عن واجبات مهمّة في زمن السّلم، مثل إقامة الحدود الإلهيّة، والحفاظ على أمن مدينة الكوفة، وحماية حياة الإمام عليّ عليه السلام، وجمع القوّات للدّفاع. يروي ابن شهر آشوب وظيفة هذه الجماعة في حماية حياة الإمام عليّ عليه السلام: «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام

(١) الطَّرِيحِيُّ، فخر الدّين، مجمع البحرين: ج ١، ص ٧٠٢.

(٢) المفيد، الاختصاص: ج ١، ص ٦٥.

(٣) الكشي، محمّد بن عمر، اختيار معرفة الرّجال: ج ١، ص ٥.

كَانَ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ يَوْمًا فَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَابِ الْفَيْلِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بِيضٌ فَجَاءَ الْحَرَسُ وَشُرَطَةُ الْخَمِيسِ؛ فَقَالَ لَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: مَا تَرِيدُونَ؟ فَقَالُوا: رَأَيْنَا هَذَا الرَّجُلَ أَقْبَلَ إِلَيْنَا فَخَشِينَا أَنْ يَغْتَالَكَ، فَقَالَ: كَلَّا، انصَرِفُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، أَتَحْفَظُونِي مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَنْ يَحْفَظُنِي مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ؟ وَمَكَثَ الرَّجُلُ عِنْدَهُ مَلِيًّا يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ أَبَسْتَ الْخِلَافَةَ بِهَاءٍ وَزِينَةً وَكَمَالًا وَلَمْ تُلْبِسْكَ، وَلَقَدْ افْتَقَرْتَ إِلَيْكَ أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ وَمَا افْتَقَرْتَ إِلَيْهَا، وَلَقَدْ تَقَدَّمَكَ قَوْمٌ وَجَلَسُوا مَجْلِسَكَ فَعَدَّابُهُمْ عَلَى اللَّهِ وَإِنَّكَ لَزَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا وَعَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِنَّ لَكَ فِي الْآخِرَةِ لِمَوَاقِفَ كَثِيرَةً تَقْرَأُ بِهَا عِيُونَ شِعْبَتِكَ وَإِنَّكَ لَسَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ وَأَخُوكَ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْأُمَّةَ الْأَثْنِي عَشَرَ فَأَنْصَرَفَ وَأَقْبَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهما السلام فَقَالَ: تَعْرِفَانِي؟ قَالَا: وَمَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: هَذَا أَخِي الْخَضِرُ عليه السلام ^(١).

لذلك فإن مكانة أعضاء شرطة الخميس كانت ثمينة للغاية، وكان حبيب بن مظاهر أحد الأعضاء الرئيسيين في هذه المجموعة لما له من فضل كبير، وفي هذا الصدد، مارس أعمالاً مهمة في خدمة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

مشاركة الإمام علي ومساعدته في الحروب

من الأعمال الأخر التي مارسها حبيب بن مظاهر في عهد الإمام علي عليه السلام هي المشاركة مع الإمام علي عليه السلام في الحروب التي فرضت عليه. وقد ذكر ذلك السماوي قائلاً: «قال أهل السير: إن حبيباً نزل الكوفة، وصحب علياً في حروبه كلها، وكان من خاصته وحمله علومه» ^(٢). وفي ما يأتي نذكر أبرز الحروب التي شارك فيها حبيب بن مظاهر في زمن الإمام علي عليه السلام.

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٢٤٧.

(٢) السماوي، الشيخ محمد بن طاهر، أبصار العين: ج ١، ص ١٠١.

١. حرب الجمل (٥٠ سنة حبيب بن مظاهر)

حرب الجمل هي أوّل حرب داخلية بين المسلمين في عهد الإمام عليّ (عليه السلام)؛ إذ دارت هذه الحرب بين جيش المسلمين بقيادة أمير المؤمنين (عليه السلام) وجماعة تسمّى الناكثين بقيادة عائشة، زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وطلحة والزبير بالقرب من مدينة البصرة، وانتهت الحرب بانتصار جيش المسلمين بقيادة الإمام عليّ (عليه السلام).

عُدّت عوامل مثل نقض عهد بعض الصحابة، منهم طلحة والزبير وعائشة، ومعارضة حكم الإمام عليّ (عليه السلام) بحجّة إراقة الدماء لعثمان من أسباب هذه الحرب، وكانت هذه الحرب في العاشر من جمادى الأولى سنة ٣٦ هـ، وقد ذكرها الشيخ المفيد بقوله: «قال: ثم إن أمير المؤمنين (عليه السلام) رحل بالنّاس إلى القوم غداة الخميس لعشر مضي من جمادى الأولى، وعلى ميمته الأشر، وعلى ميسرته عمّار بن ياسر، وأعطى الرّاية محمّد بن الحنفية، ابنه، وسار حتّى وقف موقفاً، ثم نادى في النّاس: لا تعجلوا حتّى أعودر إلى القوم. ودعا عبد الله بن العباس؛ فأعطاه المصحف، وقال: امض بهذا المصحف إلى طلحة والزبير وعائشة وادعهم إلى ما فيه، وقل لطلحة والزبير: ألم تبايعاني مختارين؟ فما الذي دعاكما إلى نكث بيعتي؟ وهذا كتاب الله بيني وبينكما»، وانتهت هذه الحرب أخيراً بانتصار جيش الإمام عليّ؛ هكذا يروي اليعقوبيّ نهاية الحرب ونوعية معاملة الإمام عليّ: «كانت الحرب أربع ساعات من التّهار، فروى بعضهم أنّه قُتِلَ في ذلك اليوم نيف وثلاثون ألفاً. ثم نادى منادي عليّ: ألا لا يُجْهَز على جريح، ولا يتبع مؤلّ، ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السّلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. ثم آمن الأسود والأحمر»؛ كان حبيب بن مظاهر يبلغ من العمر ٥٠ عاماً تقريباً في هذه الحرب، وبحسب التّقارير؛ فإنّ حبيباً شارك في هذه الحرب لمساعدة أمير المؤمنين (١).

٢. حرب صفين (٥١ سنة حبيب بن مظاهر)

غزوة صفين هي معركة بين الإمام عليّ (عليه السلام) ومعاوية وقعت في شهر صفر سنة ٣٧ هجرية في منطقة تُسمّى صفين، عندما تولّى الإمام عليّ (عليه السلام) الخلافة كان معاوية حاكماً على الشّام؛ إذ

(١) السّماوي، الشيخ محمّد بن طاهر، إِبْصَارُ الْعَيْنِ: ج ١، ص ١٠١.

عينه قبل ذلك بسنوات (في السنة القمرية الثامنة عشرة)، الخليفة الثاني أميراً على دمشق^(١)، وفي عهد الخليفة الثالث، أصبح معاوية حاكماً على منطقة الشام^(٢).

طلب الإمام عليه السلام من معاوية البيعة واجتناب أي فتنة، وكتب إلى معاوية: «من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر بن حرب، أما بعد؛ فإنه أتاني منك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابه وقاده الضلال فأتبعه، زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان، ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا، وما كان الله ليجمعهم على الضلال ولا ليضربهم بالعمى، وبعد، فما أنت وعثمان؟ إنما أنت رجل من بني أمية وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه، فإن زعمت أنك أقوى على ذلك فأدخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إليّ، أما تميزك بينك وبين طلحة والزبير وبين أهل الشام وأهل البصرة؛ فلعمري ما الأمر فيما هناك إلا سواء؛ لأنّها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر، أما شرفي في الإسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وموضعي من قريش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته»^(٣).

قتل في هذه الحرب عدد كبير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان قتلهم يحدّد مصير الحرب، ومنهم عمّار بن ياسر الذي جعله رسول الله صلى الله عليه وآله فرقاناً للحق من الباطل، وفي رواية ابن الجوزي أنّه لم يستشهد في هذه الغزوة مع أمير المؤمنين عليه السلام من أصحاب بدر إلا خمسة وعشرون رجلاً: «قتل في صفين سبعون ألفاً، خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق، منهم خمسة وعشرون بدرياً»^(٤).

(١) ابن الأثير، عزّ الدّين، الكامل في التّاريخ: ج ٢، ص ١٧٢.

(٢) ابن عسّكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشّافعي، تأريخ مدينة دمشق: ج ٦٢، ص ٨١.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ٣، ص ٨٩.

(٤) ابن الجوزي الحنبلي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمّد: ج ٥، ص ١٢٠.

وبهذه الحيلة التي دبّرها عمرو بن العاص، وذهبت المصاحف إلى رؤوس الرماح حدث انقسام في جيش الإمام عليّ عليه السلام، حتى قبل العدو «حكمة القرآن»؛ معتبرين أنه ليس لنا الحق في القتال معهم، وقد عارض الإمام عليه السلام هذا القول بشدة، وأعلن أن هذا ليس إلا خداعاً؛ لكن أمير المؤمنين عليه السلام قبل بالقرآن عنوة في رسالة إلى معاوية بشرط أن نعلم أنك لست من أهل القرآن^(١)، وبحسب الروايات التاريخية؛ فإن حبيب بن مظاهر قاتل في هذه الحرب إلى جانب الإمام عليّ وضحّى بنفسه في سبيل الله إلى جانب الإمام عليّ^(٢).

٣. حرب نهروان (٥٢ سنة حبيب بن مظاهر)

حرب النهروان هي حرب بعد حرب صفين؛ إذ شكّل الخوارج أو المارقون جماعة وفي صفر سنة ٣٨ هـ قاتلوا مع الإمام عليّ عليه السلام. ويذكر البلاذري عن زمن هذه الحرب: «فسار إليهم (عليّ) في محرّم سنة ثمانٍ وثلاثين فدعاهم، فاعتزل بعضهم فلم يقاتلوه، وبقي الآخرون فقاتلهم بالنهروان فقتلوا لتسع خلون من صفر، سنة ثمانٍ وثلاثين وقتل عبد الله بن وهب الراسبي قتله زياد بن خصفة وهانى بن الخطاب الهمداني جميعاً، ويقال: إن شبث بن ربعي شاركتها في قتله، وكان شبث على مسيرة عليّ، وكان في من رجع عن التحكيم بعد محاجة ابن عباس المحكمة»^(٣).

توقفت مجموعة من الخوارج عن الاحتجاج، لكن لا يزال هناك كثير من الناس متمسكين برأيهم؛ هم اختلفوا في الحكمة مع استنادهم بقول: «لا حكم إلا الله»، قال الإمام عليّ عليه السلام في التعامل مع خصومه الأجانب: «لِمَ حَقَّ يُعَزَّى بِهَا - أَوْ قَالَ: يراد بها - باطل (نعم) إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ [وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَا إِمْرَةَ وَلَا بُدَّ مِنْ أَمِيرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ وَيَسْتَمْتَعُ الْفَاجِرُ فَإِنْ سَكَنُوا تَرَكْنَاهُمْ - أَوْ قَالَ: عَذَرْنَاهُمْ - وَإِنْ تَكَلَّمُوا حَجَجْنَاهُمْ وَإِنْ خَرَجُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ»^(٤). ورفع علي راية، وضم إليها ألفي رجل، ونادى: «من التجأ

(١) المنقري، نصرين مزاحم، وقعه صفين: ص ٤٩٠.

(٢) السّاوي، الشّيخ محمّدين طاهر، إبصار العين: ج ١، ص ١٠١.

(٣) البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٣٦٢.

(٤) البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٣٥٢.

إلى هذه الرّاية فهو آمن» فقال عليٌّ لأصحابه: «لا تبدؤوهم بالقتال حتّى يبدؤوكم»^(١).
 أخيراً انتهت هذه الحرب بهزيمة الخوارج، وبحسب الروايات التّاريخيّة؛ ففي هذه الحرب
 قاتل حبيب بن مظاهر بين يدي الإمام عليّ عليه السلام وضحّى بنفسه بجوار الإمام^(٢)؛ لذلك وفي
 عهد الإمام عليّ عليه السلام، كان حبيب بن مظاهر أحد أصحابه المميّزين الذي ضحّى بحياته عند
 قدم الإمام عليّ عليه السلام وكان يخضع دائماً لأمر الإمام عليّ عليه السلام.

(١) الدينوري، ابن قتيبة، الأخبار الطوال: ص ٢١٠.

(٢) السّماوى، الشّرخ محمّدين طاهر، إِبصار العين: ج ١، ص ١٠١.

الفصل الرابع:

حبيب بن مظاهر

في زمن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام

(٥٥ سنة إلى ٦٥ سنة)

حبيب بن مظاهر في زمن الإمام الحسن المجتبيؑ

(٥٥ سنة إلى ٦٥ سنة حبيب بن مظاهر)

بدأت إمامة الإمام الحسن المجتبي بعد استشهاد الإمام عليؑ سنة ٤٠ هـ.

يذكر الشيخ المفيد تاريخ إمامة الإمام الحسنؑ ونوعية بيعة الناس له على النحو الآتي: «قام عبد الله بن عباسؓ بين يديه، فقال: معاشر الناس، هذا ابن نبيكم ووصي إمامكم، فبايعوه، فاستجاب له الناس، وقالوا: ما أحبه إلينا! وأوجب حقه علينا! وتبادروا إلى مبايعته بالخلافة، وذلك في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان، سنة أربعين من الهجرة»^(١).

واستشهد الإمامؑ سنة ٥٠ هـ بحيلة من معاوية على يد زوج الإمام، جعدة. وتعرض الشيخ المفيد إلى هذا الموضوع بقوله: «ولما استقر الصلح بين الحسن - صلوات الله عليه - وبين معاوية على ما ذكرناه، خرج الحسن إلى المدينة؛ فأقام بها كاطماً غيظه، ملازماً منزله، منتظراً الأمر ربّه جلّ اسمه، إلى أن تمّ لمعاوية عشر سنين من إمارته، وعزم على البيعة لابنه يزيد، فدرّس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس - وكانت زوجة الحسن - من حملها على سمّه، وضمن لها أن يزوجه بابنه يزيد، وأرسل إليها مئة ألف درهم، فسقته جعدة السمّ، فبقي مريضاً أربعين يوماً، ومضى لسبيله في صفر سنة خمسين من الهجرة، وله يومئذ ثمان وأربعون سنة. فكانت خلافته عشر سنين، وتولّى أخوه ووصيه الحسينؑ غسله وتكفينه ودفنه عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف - رحمة الله عليها - في البقيع»^(٢).

أمضى حبيب بن مظاهر عشر سنوات من حياته المباركة في خدمة الإمام الحسنؑ؛ أي تقريباً من سنّ الخامسة والخمسين إلى الخامسة والستين، مرّت حياة حبيب في إمامة الإمام الحسنؑ، وكان حبيب من أصحاب الإمام الحسن المميّزين. وقد ذكره الشيخ الطوسي في خاصّة أصحاب

(١) المفيد، محمّد بن نعمان، الإرشاد: ج ٢، ص ٩.

(٢) المفيد، محمّد بن نعمان، الإرشاد: ج ٢، ص ١٥.

الإمام الحسن^(١)، وقد كتب السيّد محسن الأمين عن ذلك في كتاب أعيان الشيعة: «وفي لسان الميزان: حبيب بن مظاهر الأسدي، روى عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ذكره الطّوسي في رجال الشيعة، وقال عمرو الكشي: كان من أصحاب عليّ، ثمّ كان من أصحاب الحسن والحسين، وذكّر له قصّة مع ميثم التّمّار، ويقال إنّ حبيب بن مظاهر قُتل مع الحسين بن عليّ عليه السلام»^(٢).

صلح الإمام الحسن عليه السلام (٥٦ سنة حبيب بن مظاهر)

من أهمّ الأحداث في حياة حبيب بن مظاهر في زمن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، صلح الإمام الحسن عليه السلام، كان صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية من أهمّ الأحداث في حياة الإمام، وقد حدث عام ٤١ هـ بعد ستّة أشهر من خلافته^(٣)، فمنذ وقت الصّلاح، عارضته جماعة واعتبرت عمل الإمام خطأً، وفي زمن الإمام الحسن عليه السلام انزعج بعض أنصاره من هذا العمل واحتجّوا عليه^(٤)، وبغض النظر عن المناقشة بشأن عصمة الإمام الحسن عليه السلام والسّلطة المطلقة لأقواله وأفعاله؛ إذ إنّ جميع أفعاله صحيحة لا ريب فيها؛ فإنّ فحص أحوال زمن الإمام الحسن عليه السلام من خيانة أصحابه، حتّى خداع معاوية وعوامل أخرى كثيرة يظهر بوضوح التّصرّف الصّحيح للإمام عليه السلام في الصّلاح.

صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية لم يكن معناه قبول معاوية وخلافته، لكن بحسب الظروف الواقعة، بذل الإمام عليه السلام قصارى جهده لجعل كلّ شيء يحدث لمصلحة الإسلام والمسلمين، بمعنى: كما صالح الرّسول صلّى الله عليه وآله في الحديبية بسبب الظروف التي أدّت إلى الفتح في المستقبل، وكما سكت الإمام عليّ عليه السلام حفاظاً على الإسلام وأصحابه في زمن الخلفاء الثلاثة؛ فعقد الإمام الحسن عليه السلام الصّلاح مع معاوية بحسب الظروف السّائدة أيضًا.

(١) الطّوسي، محمّد بن حسن، رجال الطّوسي: ج ١، ص ٩٣.

(٢) الأمين، السيّد محسن، أعيان الشيعة: ج ٤، ص ٥٥٤.

(٣) القرطبي، ابن عبد البرّ أبو عمر يوسف عبدالله بن محمّد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج ١٩ ص ٢٤٠؛ المسعوديّ أبو الحسن عليّ بن الحسين، مروج الذهب و معادن الجواهر: ص ٢٦٠.

(٤) البلاذريّ، أبو الحسن أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٥١.

أصدر الإمام الحسن عليه السلام - بشروط زمانه - معاهدة حدّدت شروطاً لمعاوية، منها:

١. أن يعمل معاوية على كتاب الله وسنة الرسول والخلفاء الراشدين^(١).
٢. ألا ينتخب أحداً ولياً للعهد، ويجب أن يترك اختيار الخليفة للمجلس الإسلامي^(٢).
٣. أن يكون كل الناس في أمان في كل مكان^(٣).
٤. أن يكون الشيعة وأصحاب عليّ؛ آمنين على حياتهم وممتلكاتهم وعائلاتهم^(٤).
٥. ألا يحقّ لمعاوية أن يُسمّي نفسه بأمر المؤمنين.
٦. أن يُورّع مليون درهم على الناجين من شهداء الذين قُتلوا إلى جانب أمير المؤمنين في معركة الجمل وصفين.
٧. أن يكفّ عن سب أمير المؤمنين عليه السلام وقذفه^(٥).

لذلك حاول الإمام الحسن عليه السلام أن يفعل ما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين. النقطة المهمة هي أن بعض أصحاب الإمام الحسن عليه السلام اعترضوا على صلحه؛ الأمر الذي دفع بالإمام إلى توضيح فلسفته في الصلح بطرائق متعدّدة، قال مخاطباً أبا سعيد: «يا أبا سعيد، إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره، لم يجب أن يُسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً، ألا ترى الخضر عليه السلام لما حرق السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار، سخط موسى عليه السلام فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه، حتّى أخبره فرضي؟ هكذا أنا، سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه، ولولا ما أتيت، لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قُتل»^(٦).

(١) ابن أعثم الكوفي، أبو محمّد أحمد، الفتوح: ج ٤، ص ٢٩٢-٢٩٠.

(٢) البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٤٢.

(٣) ابن أعثم الكوفي، أبو محمّد أحمد، الفتوح: ج ٤، ص ٢٩١.

(٤) المصدر نفسه: ص ٢٩٠.

(٥) المفيد، محمّد بن محمّد بن نعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج ٢، ص ١٤؛ صدوق،

محمّد بن بابويه، علل الشرايع: ج ١ ص ٢١٢.

(٦) الصدوق، محمّد بن بابويه، علل الشرايع: ج ١ ص ٢١١.

أنتج صلح الإمام الحسن (عليه السلام)، نتائج كثيرة لعل أهمها عن الحفاظ على الإمامة وعدم قتل الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وحافظ أيضًا هذا الصدد: «أرى - والله - معاوية خيرًا لي من هؤلاء - يزعمون أنهم لي شيعة - ابتغوا قتلي، وانهبوا ثقتلي، وأخذوا مالي، والله لأن أخذ من معاوية عهدًا أحقن به دمي، وأمنُ به في أهلي، خيرٌ من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي، والله، لو قاتلت معاوية، لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلمًا، فوالله؛ لأن أسالمة وأنا عزيز، خيرٌ من أن يقتلني وأنا أسيره، أو يمن عليّ، فتكون سبّة على بني هاشم إلى آخر الدهر، ومعاوية لا يزال يمن بها وعقبه على الحيّ منّا والميت»^(١)، بهذا التفسير يتضح أن الحفاظ على شرف الإمام وأهل البيت (عليهم السلام) كان أحد أهم نتائج الصلح في تلك الظروف، ومن أهم فلسفات الصلح للإمام الحسن (عليه السلام) كان الاختبار الإلهي، بمعنى أن من يخضع حقًا لأمر الإمام (عليه السلام) سيكون تعرّفه ممن ليس لديه هذه المعرفة، من وجهة النظر المعرفية، يختبر الله البشر دائمًا، ويؤكد القرآن الكريم اختبار البشر، وفصل الطيب من الخبيث.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢).

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾^(٣).

مثلما كان تغيير القبلة من القدس إلى الكعبة اختبارًا إلهيًا لتعرف المؤمنين الحقيقيين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ﴾^(٤)، كان صلح الإمام الحسن (عليه السلام) أيضًا مظهرًا من مظاهر الاختبار الإلهي لتعرف المؤمنين الحقيقيين، وأولئك الذين يخضعون لأمر الإمام، وقد أكدت بعض أحاديث الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) هذا الأمر؛ ولذلك كانت النتيجة المعرفية لصلح الإمام الحسن

(١) المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٠.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

هي اختبار النَّاسِ. طبعاً، هذا الاختبار لا يقتصرُ على زمنِ الإمامِ الحسنِ، بل يمتدُّ على مدارِ تاريخِ كلِّ مؤمنٍ يكون اختبارُه في هذا الصِّدقِ، رغم أنَّ بعضَ النَّاسِ اعترضوا عليه حتَّى بعد قرونٍ من صلحِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام، وقد بيَّن الإمامُ هذا الأمرَ في كلامه ردًّا على شكوكِ بعضِ أصحابه؛ فقد أكدَّ سلطةَ أقواله وأفعاله بوصفه إمامًا وحقَّه لله، فقال: «عن أبي سعيد قال: قلتُ للحسنِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ: يا ابنَ رسولِ الله، لمَ داهنتَ معاويةَ وصالحته، وقد علمتَ أنَّ الحقَّ لكِ دونَه، وأنَّ معاويةَ ضالٌّ باغٍ؟ فقال: يا أبا سعيد، أَلستُ حجةَ اللهِ تعالى ذكره على خلقه وإمامًا عليهم بعد أبي؟ قلتُ: بلى. قال: أَلستُ الذي قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لي ولأخي: الحسنُ والحسينُ إمامانِ قَما أو قَعدا؟ قلتُ: بلى. قال: فأنا إذنُ إمامٌ لو قُمتُ، وأنا إمامٌ لو قُعدتُ»^(١)، ويقول الإمامُ الحسنُ عليه السلام في موضعٍ آخرٍ؛ مستشهدًا بالقرآنِ الكريمِ: «ما بينَ جابرٍ وسَّ وجابلقَ رجلٌ جدُّه نبيٌّ غيري وغيرِ أخي، وإنِّي رأيتُ أنَّ أصلحَ بينَ أُمَّةٍ محمَّدٍ، وكنتُ أحقَّهم بذلك، فإنَّا بايعنا معاويةَ ولعلَّه فتنَّةٌ لكم ومَتاعٌ إلى حينٍ»^(٢).

يشير الإمامُ في هذا الكلامِ إلى الآيةِ المباركةِ: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّه فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾^(٣)؛ مبيِّنًا أنَّ الفتنَةَ في هذه الآيةِ تعني الاختبارَ والفحصَ. وقد ورد تفسيرُ الفتنَةِ في بعضِ المصادرِ؛ إذ إنَّ أصلها: «التَّخْلُصُ بالشَّدةِ، كَتَخْلُصِ الذَّهَبِ بِشَدَّةِ النَّارِ مِنْ كُلِّ شَائِبٍ غَيْرِهِ، وَقِيلَ: (فِتْنَةٌ لَكُمْ)؛ أَي: اخْتِبَارٌ لَكُمْ، (وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)؛ أَي: تَمَتُّعُونَ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللهُ لِإِهْلَاكِكُمْ»^(٤).

حتَّى إنَّ الشُّكَّ بشأنِ عملِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام وُجد في زمنِ الإمامِ الصادقِ عليه السلام، وقد عبَّرَ بعضُ أصحابِ الإمامِ عليه السلام عن هذا الشُّكِّ، كما ورد: «عن سديرٍ قال: قال أبو جعفرٍ عليه السلام ومعنا ابني: يا سدير، اذكر لنا أمرَكَ الَّذِي أَنْتَ عليه، فإنَّ كان فيه إغراقٌ كففناكَ عنه، وإنَّ كان مقصَّرًا أَرشدناكَ. قال: فذهبْتُ أنَّ أَتكلَّمُ، فقال أبو جعفرٍ عليه السلام: أَمِسْكَ حَتَّى أَكفِيكَ،

(١) الصِّدوق، محمَّد بن بابويه، علل الشَّرائع: ج ١، ص ٢١١.

(٢) المجلسي، محمَّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ١٤.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١١١.

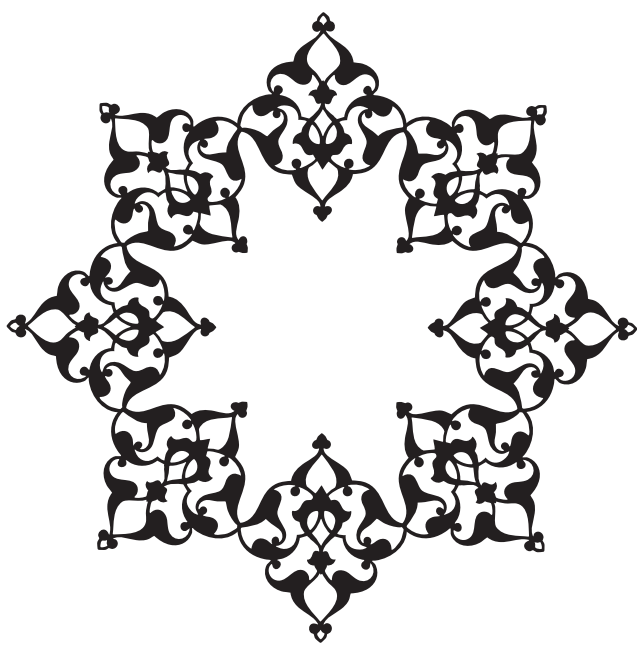
(٤) الطَّوسِي، محمَّد بن حسن، التَّبَيان في تفسير القرآن: ج ٧، ص ٢٧٦.

إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي وَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، مَنْ عَرَفَهُ كَانَ مُؤْمِنًا، وَمَنْ جَحَدَهُ كَانَ كَافِرًا، ثُمَّ كَانَ مِنْ بَعْدِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قُلْتُ: كَيْفَ يَكُونُ بِذَلِكَ الْمَنْزِلَةَ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ مَا كَانَ، دَفَعَهَا إِلَى مَعَاوِيَةَ؟ فَقَالَ: اسْكُتْ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا صَنَعَ، لَوْ لَا مَا صَنَعَ لَكَانَ أَمْرٌ عَظِيمٌ^(١).
لِذَلِكَ، مِنْ وَجْهِ النَّظَرِ الْمَعْرِفِيَّةِ، كَانَ صَلَاحُ الْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ اخْتِبَارًا فَحْصَ إِيْمَانِ النَّاسِ.

مَوْقِفُ حَبِيبِ بْنِ مَظَاهِرَ مِنْ صَلَاحِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ

فِي أَثْنَاءِ صَلَاحِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، احْتَجَّ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى هَذَا الصَّلَاحِ وَلَمْ يَقْبَلُوهُ، وَقَدْ قَدَّمَ الْإِمَامُ ﷺ لَهُمُ الْأَجُوبَةَ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي الْقِسْمِ السَّابِقِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَوْجَدُ أَيُّ خَيْرٍ يُفِيدُ بَأَنَّ حَبِيبَ بْنَ مَظَاهِرَ اعْتَرَضَ عَلَى صَلَاحِ الْإِمَامِ أَوْ تَصَرَّفَاتِهِ، كَانَ حَبِيبُ بْنُ مَظَاهِرَ مِمَّنْ عُرِفَ بِمَقَامِ الْأُتَمَّةِ ﷺ، وَكَانَ فِي عَهْدِ كُلِّ إِمَامٍ يُطِيعُ وَيَخْضَعُ لِأَمْرِ إِمَامِ زَمَانِهِ، وَلِهَذَا السَّبَبِ فِي زَمَنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَاتَلَ مَعَ الْإِمَامِ مَعَاوِيَةَ، وَبَعْدَ أَنْ قَرَّرَ الْإِمَامُ أَنْ يُصَالِحَ مَعَاوِيَةَ بِسَبَبِ الظُّرُوفِ الَّتِي حَدَثَتْ، اسْتَسَلَمَ حَبِيبٌ أَيْضًا لِإِمَامِهِ، هَذِهِ النَّقَاطُ لَمْ تُذَكَّرْ فِي الْمَصَادِرِ التَّأْرِيخِيَّةِ ذِكْرًا صَرِيحًا، لَكِنْ بِدِرَاسَةِ هَذِهِ الْمَصَادِرِ يَتَبَيَّنُ أَنََّّهُ لَا يَوْجَدُ أَيُّ ذِكْرِ لِمَعَارِضَةِ حَبِيبٍ لِصَلَاحِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، بَلْ تَشِيرُ الْمَصَادِرُ التَّأْرِيخِيَّةُ إِلَى أَنَّ حَبِيبَ بْنَ مَظَاهِرَ كَانَ مِنْ شِيعَةِ الْإِمَامِ ﷺ الْمَخْلِصِينَ وَأَوْفَى أَصْحَابِ الْأُتَمَّةِ ﷺ، لِذَلِكَ، وَبِتَحْلِيلِ هَذِهِ التَّقَارِيرِ، يُمَكِّنُ اسْتِنْتِاجَ أَنَّ حَبِيبَ بْنَ مَظَاهِرَ كَانَ خَاضِعًا لِأَمْرِ الْإِمَامِ فِي زَمَنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَكَانَ يَتَّبِعُ أَوْامِرَهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.

(١) الصَّدُوقُ، مُحَمَّدُ بْنُ بَابُوِيَه، عِلَلُ الشَّرَائِعِ: ج ١، ص ٢١١.



الفصل الخامس:

حبيبُ بنِ مظاهرٍ

في زمنِ الإمامِ الحسينِ (عليه السلام)

(كانَ عمرُ حبيبِ بنِ مظاهرٍ ٦٤ سنَةً

حتَّى زمانِ استشهاده)

حبيب بن مظاهر في زمن الإمام الحسين عليه السلام

إنَّ أبرزَ جزءٍ من حياة حبيب بن مظاهر الذي خَلَدَ اسمَه في التاريخ هو مصاحبته للإمام الحسين عليه السلام ومساعدته له في كربلاء، لقد قضى حبيب بن مظاهر ما يقاربُ عشرَ السَّنواتِ الأخيرة من حياته الشَّريفة في عهد الإمام الحسين عليه السلام، فمنذُ استشهادِ الإمام الحسنِ المجتبي عليه السلام وحتى وفاة معاوية وتوليَّ يزيد الملعونِ الخلافة، عاش الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنورة، وعلى الرغم من أنَّ الإمام عليه السلام كانَ يعدُّ أنَّ أعظمَ مصيبةٍ هي خلافةُ الأمويين، ومنهم معاوية، إلاَّ أنَّه وبسببِ الظُّروفِ الخاصَّة، التزمَ السَّكوتَ في خلالِ هذه السَّنواتِ العشرِ؛ فقد ركَّزَ على إرشادِ النَّاسِ، وشرحِ أحكامِ الدِّينِ، وعلى غرارِ إمامه ظلَّ حبيب بن مظاهر صامتاً في هذه الفترة، ولم يتخذْ أيَّ إجراءٍ بشأنِ الأمويين، كانَ حبيبٌ يقيمُ في الكوفة في هذه المدَّة؛ ملتزماً بطاعةِ إمامِ زمانه ومتربِّباً للأوامرِ التي تصدرُ عنه.

تطوُّرات السَّنة الأخيرة لحبيب بن مظاهر

الجزء الأهمُّ والرئيس في حياة حبيب بن مظاهر هو علاقته بحادثة كربلاء، ففي عام ٦٠هـ وقعت أحداثٌ أصبحت السَّبب الرئيس لنهضة الإمام الحسين عليه السلام وحادثة كربلاء، وقبل التطرُّق إلى أفعال حبيب بن مظاهر وانضمامه إلى جيش الإمام الحسين عليه السلام، لا بدَّ من تقديم شرحٍ مختصرٍ عن حركة الإمام الحسين عليه السلام.

بعد وفاة معاوية سنة ٦٠هـ^(١). نصَّب يزيد خليفة له، في مخالفة للصَّحاح الذي أبرم مع الإمام الحسن عليه السلام؛ وصل يزيد إلى الخلافة بعد معاوية، وأمر حكامَ المدن بمطالبة النَّاسِ بالبيعة، وقد كتب في خطابه إلى الوليد بن عتبة، والي المدينة: «من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعدُ، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانية على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذو عبد الله بن الزبير فإنَّه لن يفوتنا ولن ينجو منا أبداً ما دام حياً،

(١) الطَّبري، محمد بن جرير، تاريخ الطَّبري: ج ٤، ص ٢٣٩.

وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن عليّ؛ فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل، ولك عندي الجائزة، والحظّ الأوفر والنّعمة الواحدة، والسّلام»^(١).

لكنّ الإمام الحسين عليه السلام رفض بشدّة مبايعة يزيد، وفي المرحلة الأولى من نهضته أعلن الإمام رفضه المطلق لأيّ ولاء ليزيد، وأكد أنّ قبول خلافته يعني تدمير الإسلام الحقيقيّ، وقبل مغادرته المدينة إلى مكّة ثمّ الكوفة، بيّن الإمام عليه السلام عدم استحقاق يزيد للخلافة؛ فقد قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السّلام؛ إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد، ولقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان»^(٢)، وأوضح الإمام عليه السلام أنّ مبايعة يزيد في ذلك الوقت كانت تعني قبول حكومته وخلافته، وتأييد كلّ ما أدخله من تحريفات في الدّين، وردّاً على طلب مروان بن الحكم للبيعة، قال الإمام: «ويحك! أتأمرني ببيعة يزيد وهو رجل فاسق؟ لقد قلت شططاً من القول يا عظيم الزّلل! لا ألومك على قولك لأنك اللّعين الذي لعنك رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص؛ فإنّ من لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمكن له ولا منه [إلا] أن يدعو إلى بيعة يزيد، ثمّ قال: إليك عني يا عدوّ الله! فإنّا أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، والحقّ فينا وبالحقّ تنطق ألسنتنا، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان وعلى الطّلقاء أبناء الطّلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه» فوالله لقد رآه أهل المدينة على منبر جدّي فلم يفعلوا ما أمروا به، قاتلهم الله بابنه يزيد! زاده الله في النّار عذاباً»^(٣). وأكد الإمام عليه السلام في خطاباته أنّ الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان وأبناء الطّلقاء، وأنّ البيعة ليزيد تعني الموافقة على فسادهم وظلمهم، قائلاً: «مِثْلِي لَا يَبَاعُ بِمِثْلِهِ»^(٤). كان يزيد حاكماً مستبدّاً وفساداً، وكانت الموافقة على حكمه تعني القبول بفسقه وفجوره وظلمه؛ لهذا السّبب استشهد الإمام الحسين عليه السلام بكلمات رسول الله صلى الله عليه وآله؛ مشيراً إلى أنّ أحد

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ج ٥، ص ١٨.

(٢) ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ج ٥، ص ١٨.

(٣) ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ج ٥، ص ١٧.

(٤) الحليّ، الشّيخ نجم الدين جعفر بن محمّد، مثير الأحزان و منير سبيل الأشجان: ص ١٤.

أهم أهداف نهضته هو رفض مبايعة يزيد ومواجهة فسادة وفجوره؛ يقول الإمام عليه السلام: «أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله»^(١)، بذلك أكّد الإمام الحسين عليه السلام أن مبايعة يزيد تعني تأييد انحرافه وظلمه؛ وهو ما لا يمكن للإسلام المحمّديّ الأصيل أن يقبله.

إن الإمام الحسين عليه السلام بحركته العظيمة وتضحيته بنفسه وأولاده وثورته، كان يسعى إلى إصلاح الانحرافات وإظهار أصول الخلافات، وقد أوضح عليه السلام هدف حركته الإصلاحية بقوله: «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله»^(٢)، فعبر الإمام عليه السلام عن حركته العظيمة لإصلاح المجتمع من الرذائل وتزيينه بالفضائل؛ إذ قال: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافسًا في سلطان ولا التماسًا من فضول الحطام، ولكن لئري المعالِم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلّمون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسنتك وأحكامك»^(٣).

بهذا الكلام، يبيّن الإمام عليه السلام أن هدفه لم يكن تحقيق منافع دنيوية، بل تصحيح الدين وإقامة الإصلاح في المجتمع، لقد ضحّى عليه السلام بكل ما يملك لإحداث تغيير جذريّ في مجتمع زمانه بل في الأزمان اللاحقة جميعها، وإزالة النزاعات التي تسبّب فيها الحُكّام الظالمون. يعدّ الإمام عليه السلام أن خروجه كان تنبيهًا إلى الفريضة الإلهية، كما قال: «أريد أن أمر

(١) الطّبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطّبري: ج ٥ ص ٤٠٣؛ ابن الأثير، عزّ الدين، الكامل في التّاريخ: ج ٤، ص ٤٨.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩.

(٣) الحراني، أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرّسول صلى الله عليهم: ص ٢٣٧.

بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) (١)، وبعد رفضه مبايعة يزيد، انتقل الإمام الحسين إلى مكة؛ فقد مكث قرابة أربعة أشهر (٢)، وفي خلال هذه المدة، لم يبدأ الإمام حرباً أو قتالاً، بل ركّز جهوده في النهج الثقافي وبيان حقيقة الإسلام وانحرافات الأمويين، وهو ما أشار المؤرخون (٣).

وعندما علم أهل الكوفة بعدم بيعة الإمام الحسين وخروجه من المدينة إلى مكة، أرسلوا إليه كثيراً من الرسائل يدعونه للقدوم إلى الكوفة؛ ينقل الطبري مضمون إحدى هذه الرسائل على النحو الآتي: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. لحسين بن عليّ من شيعته من المؤمنين والمسلمين. أمّا بعد، فحيّهما؛ فإنّ الناس ينتظرونك، ولا رأي لهم في غيرك؛ فالعجل العجل، والسلام عليك» (٤).

لا يتحرّك الإمام الحسين (عليه السلام) نحو الكوفة استجابةً لكثرة الرسائل فحسب، بل أرسل قبل ذلك مسلماً بن عقيل، وبعض الصحابة الآخرين للتحقق من صدق أهل الكوفة في رسائلهم وكلامهم، كان هدفه، التّثبت من صدق دعوتهم قبل أن يتخذ قراره، وفي رسالته إلى أهل الكوفة، أوضح الإمام ذلك بجلاء؛ ينقل الطبري نصّ الرسالة بما يأتي: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من حسين بن عليّ إلى الملائمة من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد، فإنّ هائئاً وسعيداً قدماً عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكّرتم، ومقالة جلّكم أنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإنّ كتب إليّ أنّه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري، ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن

(١) المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٣٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٣٨١.

(٣) ابن أعمش الكوفي، الفتوح: ج ٥، ص ٢٣.

(٤) ابن أعمش الكوفي، الفتوح: ج ٤، ص ٢٦٢.

بالحق، والحابس نفسه على ذات الله»^(١)، وكان هذا التخطيط في منتهى الدقة والتروّي؛ فقد أراد الإمام (عليه السلام) أن تتمّ الأمور بنحو صحيح وبعيد عن العجلة، وبعد أن وصلت إليه رسالة مسلم بن عقيل، التي جاء فيها: «أما بعد؛ فإنّ الرّائد لا يكذب أهله، إنّ جمع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي، والسّلام عليك»^(٢)، غادر الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة، مصطحباً معه أهله وأولاده وأصحابه. وقد كتب رسالة أخرى لأهل الكوفة قبل مغادرته مكّة، جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرّحيم، من الحسين بن عليّ إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألْتُ الله أن يحسنَ لنا الصّنع وأنّ يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكّة يوم الثلاثاء لثمانٍ مضين من ذي الحجّة، يوم التّروية، فإذا قدم عليكم رسولي، فاكمشوا أمركم، وجدوا، فإنّي قادم عليكم في أيّامي هذه إن شاء الله، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(٣).

تطوّرات الكوفة قبل حادثة عاشوراء و دور حبيب بن مظاهر

بعد وفاة معاوية وتوليّ يزيد الخلافة، شهدت الكوفة تطوّرات كثيرة باعتبارها واحدة من أهمّ مدن المجتمع الإسلاميّ في ذلك الوقت؛ إذ لم يقبل الكثير من أهل الكوفة خلافة يزيد، ولهذا السّبب، عندما علموا أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) لم يبايع يزيد وذهب إلى مكّة، أرسلوا إليه رسائل كثيرة يدعوونه للحضور إلى الكوفة، ومن أبرز الشخصيات التي مارست دوراً في تلك التطوّرات كان حبيب بن مظاهر الأسديّ، الذي أسهم بدور فاعل في التّواصل مع أهل الكوفة، وتنظيم صفوفهم لدعم الإمام الحسين (عليه السلام).

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ج ٤ ص ٢٦٢.

(٢) ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ج ٤، ص ٢٩٧.

(٣) ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ج ٤، ص ٢٩٧.

١ - رسالة حبيب بن مظاهر إلى الإمام الحسين (عليه السلام)

كان حبيب بن مظاهر من بين الذين كتبوا للإمام الحسين (عليه السلام) يدعونه إلى القدوم إلى الكوفة، وقد نقل الطبري نص الرسالة التي أرسلها حبيب بن مظاهر وشيوخ الكوفة إلى الإمام الحسين، وهي: «بسم الله الرحمن الرحيم. حسين بن علي، من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة. سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد؛ فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الأمة، فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها. فبعداً له كما بعدت ثمود! إنه ليس علينا إمام، فأقبل؛ لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والتعمان بن بشير في قصر الإمارة، لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا، أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك»^(١).

وقد نقل ابن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح، رسالة حبيب بن مظاهر وشيوخ الكوفة إلى الإمام الحسين (عليه السلام) بصيغة مشابهة، جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. إلى الحسين بن علي (رضي الله عنهما)، من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، وحبيب بن مظاهر، ورفاعة بن شداد، وعبد الله بن وائل، وجماعة شيعته من المؤمنين. أما بعد؛ فالحمد لله الذي قصم عدوك وعدو أبيك من قبلك، الجبار العنيد، الغشوم الظلوم، الذي أبتز هذه الأمة وعضاها، وتأمر عليها بغير رضاها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، فبعداً له كما بعدت ثمود! ثم إنه قد بلغنا أن ولده اللعين قد تأمر على هذه الأمة بلا مشورة، ولا إجماع، ولا علم من الأخبار، ونحن مقاتلون معك، وباذلون أنفسنا دونك، فأقبل إلينا فرحاً مسروراً، مأموناً، مباركاً، سديداً، وسيداً، أميراً مطاعاً، إماماً خليفة علينا، مهدياً، فإنه ليس علينا إمام ولا أمير إلا التعمان بن بشير، وهو في قصر الإمارة وحيد طريد، ليس يجتمع معه في جمعة، ولا يخرج معه

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ج ٤ ص ٢٩٧.

إلى عيد، ولا يُؤدّي إليه الخراج. يدعو فلا يُجاب، ويأمر فلا يُطاع. ولو بلغنا أنك قد أقبلت إلينا، أخرجناه عنّا حتّى يلحق بالشّام، فأقدم إلينا، فلعل الله عزّ وجلّ أن يجمعنا بك على الحقّ. والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته، يا ابن رسول الله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم^(١)، تُظهر الرّسالتان شوق أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام ورغبتهم في النهوض معه على الظلم والطّغيان، كما تعكسان حالة التذمّر من حُكم يزيد ونائبه النّعمان بن بشير. ينقل الشّيخ المفيد نصّ الرّسالة بصيغة أخرى: «للحسين بن عليّ، من سُلَيْمان بن صُرد، والمسيّب بن نَجَبَةَ، ورِفاعَةَ بن شَدَّاد، وحبيب بن مُظَاهِر، وشيعة من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة: سلامٌ عليك، فإنّا نحمدُ إليك الله الذي لا إله إلّا هو. أمّا بعد: فالحمدُ لله الذي قصمَ عدوكَ الجبارَ العنيدَ، الذي انتزى على هذه الأُمّة، فابتزّها أمرها، وغصبها فيئها، وتأمرَ عليها بغيرِ رضا منها، ثمّ قتلَ خيارها، واستبقى شرارها، وجعلَ مالَ الله دُولَةً بينَ جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدتْ ثمود، إنه ليسَ علينا إمامٌ، فأقبلَ لعلَّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، والنّعمانُ بنُ بشيرٍ في قصرِ الإمارة، لسنا نجمعُ معه في جمعةٍ، ولا نخرُجُ معه إلى عيدٍ، ولو قد بلغنا أنّك أقبلتَ إلينا، أخرجناه حتّى نُلحقه بالشّام إن شاء الله»^(٢).

كان حبيب بن مظاهر ممّن كتبوا الرّسالة إلى الإمام الحسين عليه السلام، وقد قبل مسؤوليّة ختمها وإرسالها، وقد ثبت على موقفه ونصر الإمام الحسين عليه السلام بكلّ طريقة ممكنة.

٢- مناصرة مسلم بن عقيل وأخذ البيعة من النّاس

أرسل الإمام الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة للتحقّق من صحّة ادّعاءات الكوفيّين وطلب منه الإبلاغ عن صدق رسائلهم. ولما وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة، كان حبيب بن مظاهر ممّن بايعوه وساعدوه في أخذ البيعة للإمام الحسين عليه السلام. يروي الطّبريّ ولاء حبيب بن مظاهر لمسلم بن عقيل بما يأتي: «ثمّ أقبل مسلم حتّى دخل الكوفة، فنزل دار المختار بن أبي عبيد، وهي التي تُدعى اليوم دار مسلم بن المسيّب، وأقبلت الشيعة تختلف

(١) ابن أعثم الكوفيّ، الفتوح: ج ٥، ص ٢٧-٢٨.

(٢) المفيد، محمّد بن نعمان، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٦-٣٧.

إليه، فلمّا اجتمعت إليه جماعة منهم، قرأ عليهم كتاب حسين، فأخذوا يبكون، فقام عابس بن أبي شبيب الشّكريّ، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّي لا أخبرك عن النّاس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرّك منهم، والله أحدثك عمّا أنا موطن نفسي عليه. والله لأجيبنكم إذا دعوتهم، ولأقاتلنّ معكم عدوّكم، ولأضربنّ بسيفي دونكم حتّى ألقى الله، لا أريد بذلك إلّا ما عند الله»، فقام حبيب بن مظاهر الفقعسيّ، فقال: «رحمك الله، قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك»، ثمّ قال: «وأنا والله الَّذي لا إله إلّا هو، على مثل ما هذا عليه»^(١).

ويروي ابن أعثم الكوفيّ هذا الحدث بشكل مشابه؛ إذ يقول: «جعلت الشيعة تحتلف إلى دار مسلم، وهو يقرأ عليهم كتاب الحسين، والقوم يبكون شوقاً منهم إلى قدوم الحسين، ثمّ تقدّم إلى مسلم بن عقيل رجل من همدان يقال له عابس بن أبي شبيب الشّكري، فقال: أمّا بعد، فإنّي لا أخبرك عن النّاس بشيء، فإنّي أعلم ما في أنفسهم، ولكنّي أخبرك عمّا أنا موطن عليه نفسي، والله أجيبكم إذا دعوتهم، وأقاتل معكم عدوّكم، وأضرب بسيفي دونكم أبداً حتّى ألقى الله، وأنا لا أريد بذلك إلّا ما عنده»، ثمّ قام حبيب بن مظاهر الأسيديّ الفقعسيّ، فقال: «وأنا والله الَّذي لا إله إلّا هو، على ما أنت عليه»، وتبايعت الشيعة على كلام هذين الرّجلين، ثمّ بذلوا الأموال، فلم يقبل مسلم بن عقيل شيئاً»^(٢).

وبحسب هذا التّقرير؛ فإنّ النّاس كانوا يبايعون مسلم بن عقيل بعد سماع كلمات عابس وحبيب بن مظاهر، وبالفعل كان حبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة يبذلان جهداً كبيراً في الحصول على البيعة من أهل الكوفة، ويروي السّماويّ: «وجعل حبيب ومسلم يأخذان البيعة للحسين في الكوفة، حتّى إذا دخل عبيد الله بن زياد الكوفة وخذّل أهلها عن مسلم، وفرّ أنصاره، حبستها عشائرها وأخفيتها، فلمّا ورد الحسين كربلاء، خرجا إليه مختفين، يسيران اللّيل ويكمنان النّهار، حتّى وصلا إليه»^(٣)، والحقيقة أنّ دور حبيب بن مظاهر في أخذ البيعة وتشجيع النّاس على مبايعة مسلم بن عقيل كان دوراً مهمّاً جدّاً في هذا السّياق.

(١) الطّبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطّبري: ج ٤، ص ٢٦٤.

(٢) ابن أعثم الكوفيّ، الفتوح: ج ٥، ص ٣٤.

(٣) السّماويّ، الشّيخ محمّد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين: ص ١٠٢.

٣- رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى حبيب بن مظاهر

بعد خيانة الكوفيّين واستشهاد مسلم بن عقيل، بعث الإمام الحسين عليه السلام برسالة إلى حبيب بن مظاهر بهذا الموضوع: «من الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى الرّجل الفقيه حبيب بن مظاهر، أمّا بعد، فأنت تعلم قرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنت أعرف بنا من غيرك، وأنت ذو شيمة وغيره، فلا تبخل عنّا بنفسك، يجازيك جدّي رسول الله يوم القيامة»^(١)، قبل حبيب بن مظاهر دعوة إمامه وتحرك نحو الإمام الحسين عليه السلام، وعلى الرغم من العوائق التي وضعها ابن زياد للخروج من الكوفة، تمكّن حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة من مغادرة الكوفة والتوجّه نحو الإمام بتحدّ وصعوبة. وأخيرًا، انضمّوا إلى جيش الإمام.

حبيب بن مظاهر في كربلاء

بعد رؤية خيانة الكوفيّين وخرقهم للبيعة، أتى حبيب بن مظاهر إلى الإمام الحسين عليه السلام بصعوبة كبيرة، ليشتّ ولاءه للإمام بحياته، قضى الأيام الأخيرة من حياته المباركة في كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام، وفي هذه الأيام، اتخذ حبيب الإجراءات الآتية:

١- طلب المساعدة من قبيلة بني أسد في كربلاء

لما وصل حبيب بن مظاهر إلى كربلاء، ورأى قلة أصحاب الإمام، انزعج جدًّا، وبعد الحصول على إذن من الإمام عليه السلام أسرع حبيب إلى قبيلة بني أسد وطلب منهم المساعدة، وفي خطاب مفصّل، طلب منهم النّصر، ويروي ابن أعثم هذا التّقرير هكذا: «وأقبل حبيب بن مظاهر الأسديّ إلى الحسين بن عليّ؛ فقال: هاهنا حيّ من بني أسد بالقرب منّي، أو تأذن لي أن أسير إليهم وأدعوهم إلى نصرتك، فعسى الله أن يدفع بهم عنك بعض ما تكره! فقال له الحسين: قد أذنت لك يا حبيب! فقال: فخرج حبيب بن مظاهر في جوف الليل منكرًا حتّى صار إلى أولئك القوم، فحيّاهم وحيّوه وعرفوا أنّه من بني أسد، فقالوا: ما حاجتك يا ابن عمّ؟ فقال: حاجتي إليكم قد أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم، أتيتكم أدعوكم إلى نصره

(١) الصّمياني، حيدر، موسوعة في ظلال شهداء الطّفّ: ج ٢، ص ٧٩.

ابن بنت رسول الله ﷺ، فإنه في عصابة من المؤمنين، الرجل منهم خير من ألف رجل، لن يخذلوه ولن يسلموه، وفيهم عين نظرت، وهذا عمر بن سعد قد أحاط به في اثنين وعشرين ألفاً، وأنتم قومي وعشيرتي، وقد جئتمكم بهذه النصيحة فأطيعوني اليوم في نصرته تتالون غداً شرفاً في الآخرة، فإني أقسم بالله أنه لا يُقتل منكم رجل مع ابن بنت رسول الله ﷺ صابراً محتسباً إلا كان رفيقاً محمداً ﷺ في أعلى عليين»، قال: فوثب رجل من بني أسد يدعى بشر بن عبيد الله، فقال: «والله أنا أول من أجاب إلى هذه الدعوة»، ثم تبادل رجال الحبيبي مع حبيب بن مظاهر الأسدي، وقال: «وخرج رجل من الحبيبي في ذلك الوقت حتى صار إلى عمر بن سعد في جوف الليل، فخرّ به بذلك، فدعا رجلاً من أصحابه يدعى الأزرق بن حرب الصيداوي، فضم إليه أربعة آلاف فارس، ووجه به في جوف الليل إلى حبيبي بني أسد مع الرجل الذي جاء بالخبر»، قال: «بينما القوم في جوف الليل قد أقبلوا يريدون معسكر الحسين؛ إذ استقبلهم جند عمر بن سعد على شاطئ الفرات، فتناوش القوم بعضهم بعضاً واقتتلوا قتالاً شديداً، وصاح حبيب بن مظاهر: ويلك يا أزرق! مالك ولنا؟ دعنا! قال: واقتتلوا قتالاً شديداً. فلما رأى القوم بذلك، انهزموا راجعين إلى منازلهم، فرجع حبيب بن مظاهر إلى الحسين رضي الله عنه، فأعلمه بذلك الخبر. فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(١).

وفي هذه الحالة، بذل حبيب بن مظاهر قصارى جهده، لكن أعداء الله منعوا قبيلة حبيب من الانضمام إلى الإمام الحسين عليه السلام.

٢- رفضبيعة عمر بن سعد

حاول عمر بن سعد خداع أصحاب الإمام بأمر من ابن زياد، ومنحهم رسالة الأمان؛ ولهذا السبب، حاول ثنيهم عن مساعدة الإمام بوعدهم برسالة الأمان والأموال والجائزة، لكن حبيب بن مظاهر وغيره من الصحابة الموالين للإمام الحسين عليه السلام، رفضوا طلب عمر بن سعد بشدة. يكتب الكشي عن حبيب بن مظاهر في كتاب اختيار معرفة الرجال: «وكان حبيب من السبعين رجلاً الذين نصرنا الحسين عليه السلام، ولقوا جبال الحديد، واستقبلوا الرماح

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ج ٥، ص ٩١.

بصدورهم، والسيوف بوجوههم، وهم يعرض عليهم الأمان والأموال فيأبون، ويقولون: لا عذر لنا عند رسول الله ﷺ إن قُتل الحسين ومنا عين تطرف حتى قتلوا حوله»^(١).
 بايع حبيب بن مظاهر وغيره من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وهم يعلمون مقام الإمام، ولهذا السبب، لم يكن هناك شيء يمكن أن يثنِيَهُم عن الطريق الذي اختاروه، وأظهروا إخلاصهم بالتضحية بحياتهم في سبيل الله.

٣- موعظة الكوفيّين وإتمام الحجّة عليهم في عصر تاسوعاء

قبل يوم عاشوراء، ذهب حبيب بن مظاهر وغيره من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفيّين وجيش عمر بن سعد، فوعظهم وحذّره من الحرب على سبط النّبِيّ والإمام الحقّ. وقد روى الطّبريّ كلام حبيب بن مظاهر هكذا: «وقف أصحابه يخاطبون القوم؛ فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين: كلّم القوم إن شئت، وإن شئت كلمتهم. فقال له زهير: أنت بدأت بهذا، فكن أنت تكلمهم. فقال له حبيب بن مظاهر: أما والله، لبئس القوم عند الله غداً، قوم يقدمون عليه وقد قتلوا ذرّيّة نبيّه عليه السلام وعترته وأهل بيته عليه السلام، وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار والذّاكرين الله كثيراً»^(٢).

٤- إعلان البيعة للإمام الحسين والسّيّدة زينب ليلة عاشوراء

خرج الإمام الحسين عليه السلام في جوف الليل إلى خارج الخيام ليتفقد التّلاع والعقبات، فتبعه نافع بن هلال الجمليّ، فسأله الحسين عمّا أخرجه. قال: «يا ابن رسول الله، أفرغني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطّاعغي»، فقال الحسين: «إني خرجت أتفقد التّلاع والرّوابي؛ مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون»، ثمّ رجع عليه وهو قابض على يد نافع ويقول: «هي هي والله، وعد لا خلف فيه»، ثمّ قال له: «ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك؟»، ثمّ دخل الحسين عليه السلام خيمة زينب، ووقف نافع أمام الخيمة ينتظره، فسمع زينب تقول له: «هل استعلمت من أصحابك نيّاتهم؟ فإنني أخشى

(١) الكشيّ، محمّد بن عمر، رجال الكشيّ (اختيار معرفة الرّجال): ج ١، ص ٢٩٣.

(٢) الطّبريّ، أحمد بن جرير، تأريخ الطّبريّ: ج ٤، ص ٣١٦.

أَنْ يَسْلَمُوكَ عِنْدَ الْوُثْبَةِ»، فَقَالَ لَهَا: «وَاللَّهِ، لَقَدْ بَلَوْتَهُمْ فَمَا وَجَدْتُ فِيهِمْ إِلَّا الْأَشُوسَ الْأَقْعَسَ، يَسْتَأْنِسُونَ بِالْمَنِيَّةِ دُونِي اسْتِنَاسَ الطِّفْلِ إِلَى مَحَالِبِ أُمَّهِ».

قَالَ نَافِعٌ: «فَلَمَّا سَمِعْتَ هَذَا مِنْهُ، بَكَيْتُ وَأَتَيْتُ حَبِيبَ بْنَ مَظَاهِرٍ وَحَكَيْتُ لَهُ مَا سَمِعْتُ مِنْهُ وَمِنْ أُخْتِهِ زَيْنَبَ؛ قَالَ حَبِيبٌ: «وَاللَّهِ، لَوْ لَا أَنْتَظَرُ أَمْرَهُ لَعَاجَلْتَهُمْ بِسِيفِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ»، قُلْتُ: «إِنِّي خَلَفْتُهُ عِنْدَ أُخْتِهِ، وَأُظِنُّ أَنَّ النِّسَاءَ قَدْ فُقِّنَ وَشَارَكْنَهَا فِي الْحَسْرَةِ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَجْمَعَ أَصْحَابَكَ وَتَوَاجِهَهُنَّ بِكَلَامٍ يَطِيبُ قُلُوبَهُنَّ؟»، فَقَامَ حَبِيبٌ وَنَادَى: «يَا أَصْحَابَ الْحَمِيَّةِ وَلِيُوثَ الْكِرِيهَةِ»، فَتَطَالَعُوا مِنْ مَضَارِبِهِمْ كَالْأَسْوَدِ الضَّارِيَةِ. فَقَالَ لِبْنِي هَاشِمٍ: «ارْجِعُوا إِلَى مَقَرِّكُمْ لَا سَهَرْتَ عَيْونَكُمْ»، ثُمَّ التَفْتُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَحَكَيْتُ لَهُمْ مَا شَهِدْتُهُ وَسَمِعْتُهُ نَافِعٌ، فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ: «وَاللَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا هَذَا الْمَوْقِفَ، لَوْ لَا أَنْتَظَرُ أَمْرَهُ لَعَاجَلْنَاهُمْ بِسِیُوفِنَا السَّاعَةِ، فَطَبَّ نَفْسًا وَقَرَّ عَيْنًا»، فَجَزَّاهُمْ خَيْرًا، وَقَالَ: «هَلَمُّوا مَعِيَ لِنُؤَاجِهَ النِّسَاءَ وَنَطِيبَ خَاطِرَهُنَّ»، فَجَاءَ حَبِيبٌ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ وَصَاحَ: «يَا مَعْشَرَ حِرَائِرِ رَسُولِ اللَّهِ، هَذِهِ صَوَارِمُ فِتْيَانِكُمْ أَلْوَا إِلَّا يَغْمَدُوهَا إِلَّا فِي رِقَابٍ مِنْ يَرِيدُ السُّوءَ فِيكُمْ، وَهَذِهِ أَسْتَنَّةُ غُلَمَانِكُمْ أَقْسَمُوا إِلَّا يَرْكُزُوهَا إِلَّا فِي صَدُورٍ مِنْ يَفْرُقُ نَادِيَكُمْ»، فَخَرَجَتِ النِّسَاءُ إِلَيْهِمْ بِبِكَاءٍ وَعَوِيلٍ، وَقُلْنَ: «أَيُّهَا الطَّيِّبُونَ، حَامُوا عَن بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ وَحِرَائِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ»، فَاضْطَرَبَ الْقَوْمُ بِالْبِكَاءِ حَتَّى كَانُوا الْأَرْضَ تَمِيدُ بِهِمْ^(١).

هَكَذَا يَعلَنُ حَبِيبُ بْنُ مَظَاهِرٍ وَلاءَهُ لِنَفْسِهِ وَسَائِرِ الصَّحَابَةِ مِنْ أَجْلِ إعْطَاءِ الثِّقَةِ وَالقُوَّةَ لِلسَّيِّدَةِ زَيْنَبَ عَلَيْهَا السَّلَامُ.

٥- الحَالَةُ الرُّوحِيَّةُ وَالسَّعِيدَةُ لِحَبِيبِ بْنِ مَظَاهِرٍ لَيْلَةَ عَاشُورَاءِ

أَسْرَعَ حَبِيبُ بْنُ مَظَاهِرٍ، بِعِلْمِهِ الْعَمِيقِ وَإِيْمَانِهِ الْقَوِي، لِمُسَاعَدَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ مَتَأَكِّدًا كَمَا لَوْ أَنَّهُ رَأَى نَتِيجَةَ عَمَلِهِ؛ وَهَذَا السَّبَبُ كَانَ فِي لَيْلَةِ عَاشُورَاءِ فِي حَالَةِ رُوحِيَّةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَعُونَةِ الْإِمَامِ الْحَقِّ. وَبِهَذَا النِّجَاحِ كَانَ سَعِيدًا جَدًّا؛ إِذْ إِنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ اعْتَرَضُوا عَلَيْهِ بِسَبَبِ ضَحْكِهِ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ، يَرُوي الكُتُبِيُّ هَذَا الْخَبْرَ فِي كِتَابِهِ الرِّجَالِ هَكَذَا: «وَلَقَدْ

(١) الموسوي المقرّم، السيّد عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام، ج ١، ص ٢١٨-٢١٩.

مزح حبيب بن مظاهر الأسدي، فقال له يزيد بن خضير الهمداني وكان يقال له سيّد القراء: يا أخي، ليس هذه بساعة ضحك. قال: فأَيّ موضع أحقّ من هذا بالسّرور؟ والله ما هو إلا أن تميل علينا هذه الطّغام بسيوفهم فنعانق الحور العين»^(١).

يعبر هذا البيان عن حقيقة روحية في ما يخصّ الأشخاص الأتقياء الذين وصلوا إلى الثّقة بالنفس، وهم سعداء وفرحون بشغف الشّهادة في سبيل الله.

٦- قائد الجناح الأيسر لجيش الإمام الحسين عليه السلام

أختير حبيب بن مظاهر قائداً للجناح الأيسر لجيش الإمام نظراً إلى مكانته الرّفيعه عند الإمام الحسين عليه السلام؛ وهي التي ترجع إلى شجاعة حبيب ووفائه، هكذا يروي الشيخ المفيد انتخاب حبيب بن مظاهر أميراً لليسار: «وأصبح الحسين بن عليّ، فعباً أصحابه بعد صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً، فجعل زهير بن القين في مسيرة أصحابه، وحبيب بن مظاهر في مسيرة أصحابه، وأعطى رايته العباس أخاه، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت أن يترك في خندق قد حفر هناك وأن يُحرق بالنار، مخافة أن يأتوا بهم من ورائهم»^(٢).

٧- الرّدّ على كلام شمر بن ذي الجوشن الفاحش

عندما وعظ الإمام الحسين عليه السلام وحذّر جيش العدو، منع شمر بن ذي الجوشن كلام الإمام عليه السلام بكلام بذيء، فردّ عليه حبيب بحجج قويّة، يروي الطّبريّ هذه الرّواية بما يأتي: «أمّا بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا، هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسنتُ ابن بنت نبيكم عليه السلام، وابن وصيّه وابن عمّه وأول المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه؟ أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ أو ليس جعفر الشهيد الطّيّار ذو الجناحين عمّي؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم أنّ رسول الله عليه السلام قال لي ولأخي: «هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟» فإن صدّقتموني بما

(١) الكشيّ، محمّد بن عمر، رجال الكشيّ: ج ١، ص ٢٩٣.

(٢) المفيد، محمّد بن نعمان، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٥.

أقول وهو الحقّ، واللّه ما تعدّت كذباً مذ علمت أنّ اللّه يمقت عليه أهله ويضرب به من اختلقه، وإنّ كذبتُموني، فإنّ فيكم من إنّ سألتُموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد اللّه الأنصاريّ، أو أبا سعيد الخدريّ، أو سهل بن سعد الساعديّ، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول اللّه ﷺ لي ولأخي، أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟».

فقال له شمر بن ذي الجوشن: «هو يعبد الله على حرف إنّ كان يدري ما تقول»، فقال له حبيب بن مظاهر: «والله إنّّي لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق، ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك»^(١).

قد نقل الخوارزميّ جواب حبيب لشمر بطريقة مختلفة: «ثمّ قال ﷺ: «والله لا أعطيهم يدي إعطاء الدليل، ولا أفرّ فرار العبيد، عباد الله، إنّني عذت بربي وربكم أنّ ترجمون، وأعوذ بربي وربكم من كلّ متكبر لا يؤمن بيوم الحساب»، فقال له شمر بن ذي الجوشن: «يا حسين بن عليّ، أنا عبد الله على حرف إنّ كنت أدري ما تقول»، فسكت الحسين ﷺ، فقال حبيب بن مظاهر للشمر: «يا عدوّ الله! وعدوّ رسول الله، إنّني لأظنّك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك لا تدري ما يقول؛ فإنّ الله تبارك وتعالى قد طبع على قلبك»^(٢).

٨- جواب حبيب بن مظاهر للحصين بن تميم

وفي ظهيرة عاشوراء، استعدّ الإمام ﷺ لصلاة الظهر وطلب من العدو أن يكفّوا عن القتال ليصلّوا، فصرخ الحصين بن تميم قائلاً: «لنّ تقبلّ صلاتكم»، فأجابه حبيب بن مظاهر بحجّة قويّة، يروي الطبريّ هذه الحادثة على النحو الآتي: «قال أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائديّ للحسين: يا أبا عبد الله، نفسي لك الفداء، إنّني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إنّ شاء الله، وأحبّ أنّ ألقى ربيّ وقد صليت هذه الصلّاة التي قد دنا وقتها، قال: فرفع الحسين رأسه، ثمّ قال: ذكرت الصلّاة،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٢٢-٣٢٣.

(٢) الخوارزمي، موفق بن أحمد، مقتل الحسين ﷺ: ج ١، ص ٣٥٨.

جعلك الله من المصلين الذّاكرين. نعم!، هذا أوّل وقتها. ثمّ قال: سلوهم أن يكفّوا عنّا حتّى نصليّ، فقال لهم الحصين بن تميم: إنّها لا تُقبّل، فقال له حبيب بن مظاهر: «لا تقبّل؟ زعمت الصّلاة من آل رسول الله ﷺ لا تُقبّل، وتُقبّل منك يا حمار؟»، قال: فحمل عليهم حصين بن تميم؛ فخرج إليه حبيب بن مظاهر، فضرب وجه فرسه بالسيف فشبّ ووقع عنه، فحمله أصحابه فاستنقذوه»^(١).

٩- الحضور على جنازة مسلم بن عوسجة مع الإمام الحسين عليه السلام

قال الزيّديّ إنّهُ سمع عمرو بن الحجّاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول: «يا أهل الكوفة، الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدّين وخالف الإمام»، فقال له الحسين: «يا عمرو بن الحجّاج، أعليّ تحرض النّاس؟ أنحن مرقنا وأنتم ثبتم عليه؟ أما والله لتعلمنّ لو قد قبضت أرواحكم ومتمّ على أعمالكم أينما مرق من الدّين، ومن هو أولى بصليّ النّار؟»، ثمّ إنّ عمرو بن الحجّاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات؛ فاضربوا ساعةً، فصرع مسلم بن عوسجة الأسدّيّ، أوّل أصحاب الحسين، ثمّ انصرف عمرو بن الحجّاج وأصحابه، وارتفعت الغبرة فإذا هم به صريعاً، فمشى إليه الحسين، فإذا به رمق، فقال: «رحمك الله يا مسلم بن عوسجة، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً»، ودنا منه حبيب بن مظاهر؛ فقال: «عزّ عليّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنّة»، فقال له مسلم قائلاً بصوت ضعيف: «بشرك الله بخير»، فقال له حبيب: «لولا أنّي أعلم أنّي في أثرك لاحق بك من ساعتی هذه، لأحببت أن توصيني بكلّ ما أهمّك، حتّى أحفظك في كلّ ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدّين»، قال: «بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله»، وأهوى بيده إلى الحسين: «أنت موت دونه»، قال: «أفعل وربّ الكعبة»^(٢).

(١) الطّبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطّبري: ج ٤، ص ٣٣٤.

(٢) الطّبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطّبري: ج ٤، ص ٣٣٢-٣٣٣.

١٠- معركة حبيب بن مظاهر الباسلة

وبعد الحصول على إذن من الإمام عليه السلام، ذهب حبيب بن مظاهر إلى ساحة المعركة ليضحّي بحياته دفاعاً عن سبط النبي والإمام الحقّ، ويدافع بدمه عن الإسلام الحقيقي بوجه البدع، وكان حبيب بن مظاهر يقرأ في ساحة المعركة، وكان إنشاده أيضاً مليئاً بالعلم العميق، يروي الطبري أبيات حبيب بن مظاهر الشجاعة بهذه الطريقة:

أقسم لو كنّا لكم أعدادا	أو شطركم وليتم أكتادا
يا شرّ قوم حسباً وآدا	وشرّهم قد علموا أندادا
أنا حبيب وأبي مظاهر	فارس هيجاء وحرب تسعر
أنتم أعدّ عدة وأكثر	ونحن أوفى منكم وأصبر
ونحن أعلى حجّة وأظهر	حقاً وأتقى منكم وأعذر ^(١) .

وفي بعض المصادر الأخر رويت هذه الأبيات بصيغة مختلفة:

أنا حبيب وأبي مظاهر	فارس هيجاء وليث قسور
وأنتم عند العديد أكثر	ونحن أعلى حجّة وأظهر
وأنتم عند الوفاء أغدر	ونحن أوفى منكم وأصبر
وفي يميني صارم مذكر	وفيكم نار الجحيم تسعر ^(٢) .

خاض حبيب بن مظاهر معركة شرسة، واستطاع أن يقتل عدداً كبيراً من أفراد العدو، وبحسب ابن شهر آشوب؛ فقد تمكّن من قتل ٦٢ شخصاً^(٣).

١١ - نهاية حياته مباركة، استشهاد عظيم

وأخيراً، نال حبيب بن مظاهر، بعد تضحية كبيرة وعمر قضاه في خدمة القرآن وأهل البيت ودين الله سبحانه وتعالى، أجر جهوده وتمكّن من الاستشهاد دفاعاً عن حرمة رسول الله ودين الله، يروي الطبري استشهاد حبيب بهذه الصورة: «وقاتل قتالاً شديداً، فحمل

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٣٥.

(٢) المحلّاتي، ذبيح الله، فرسان الهيجاء، ص ١٣٤.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن عليّ، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٥٢.

عليه رجل من بني تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله، وكان يُقال له: بدليل بن صريم من بني عقفان، حمل عليه آخرٌ من بني تميم قطعنه، فوقع، وذهب ليقوم، فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف، فوقع. ثم نزل إليه التميمي فاحتز رأسه، فقال له الحصين: إني لشريكك في قتله. فقال الآخر: والله ما قتله غيري. فقال الحصين: أعطنيه أعلقه في عنق فرسي كي يراه الناس ويعلموا أنني شركت في قتله، ثم خذه أنت بعد ذلك وامض به إلى عبيد الله بن زياد، فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إياه، فأبى عليه، فأصلح قومه بينهما على هذا. فدفع إليه رأس حبيب بن مظاهر، فجال به في العسكر قد علّقه في عنق فرسه، ثم دفعه بعد ذلك إليه، فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخر رأس حبيب وعلّقه في لبنان فرسه^(١).

١٢- الإمام الحسين عليه السلام على جنازة حبيب بن مظاهر

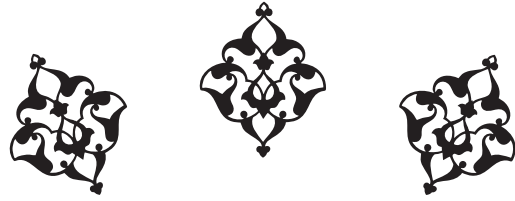
بعد استشهاد حبيب بن مظاهر، جاء الإمام الحسين عليه السلام إلى جنازته؛ يقول أبو مخنف: حدّثني محمد بن قيس، قال: «لما قُتل حبيب بن مظاهر، هدّ ذلك حسيناً، وقال عند ذلك: «أحتسب نفسي وحماة أصحابي»^(٢)، وفي رواية أخرى، قال الإمام الحسين: «رحمك الله يا حبيب، لقد كنت تختم القرآن في ليلة واحدة، وأنت فاضل»^(٣).

هذه الكلمات التي قالها الإمام الحسين عليه السلام عند جنازة حبيب بن مظاهر تُعبّر عن مكانته الرفيعة، فبعد عمرٍ من الجهاد في سبيل الله، نال حبيب أجر قتاله، وحظي بمنزلة الشهادة الرفيعة عند قدمي الإمام الحسين عليه السلام، وبقي اسمه خالداً بين أحرار العالم إلى الأبد.

(١) الطّبري، محمد بن جرير، تاريخ الطّبري: ج ٥، ص ٤٣٩.

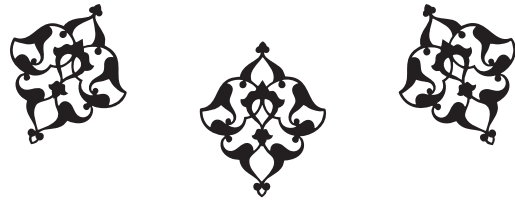
(٢) المصدر نفسه: ج ٤، ص ٣٣٦.

(٣) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة: ج ٣ ص ٧١.



الفصل السّادس:

فضائل حبيب بن مظاهر



فضائل حبيب بن مظاهر

كان لحبيب بن مظاهر مظاهر كغيره من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام؛ فقد كانت له فضائل وخصائص بارزة وصلت به إلى مرتبة ناصر الإمام الحسين عليه السلام والاستشهاد معه، ولم يكن الأمر كذلك حتى سارع حبيب بن مظاهر إلى نجدة الإمام على الفور؛ فأصبح من أصحابه المميّزين. بل كان له ماضٍ باهر ومكانة وقدرة متميزة وصلت به إلى هذه المكانة؛ يقول القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١). لهذا السبب، بذل حبيب بن مظاهر جهودًا مخصصة في سبيل الله، فوققه الله للقاء الإمام الحسين عليه السلام، ونصرة دين الله، والاستشهاد على خطى سيّد الشهداء؛ ولذلك فإنّ الوصول إلى هذا النّجاح المتميّز كان بفضل جهوده ومزاياه، من جهة أخرى؛ فضلًا عن التعبير عن هذه الفضائل لحبيب بن مظاهر؛ وهو أمر مهمّ يدلّ على مكانته الرفيعة؛ فإنّ التفكير والتّفكّر في هذه الفضائل هو الأهمّ لمحبيّ الإمام الحسين عليه السلام ليكونوا قدوة لهم، وهذا يعني أنّه بالتّفكير في هذه الفضائل والافتداء بها، وتعزيزها في النفس، سيتحقّق النّجاح لخدمة أهل البيت عليهم السلام؛ ولا سيّما الإمام الحليّ، إمام الزّمان عليه السلام؛ لذلك فإنّ التعبير عن هذه الفضائل والتّمثّل بها من أهمّ واجبات الشيعة ومهامّهم، وكذلك محبيّ أهل البيت في عصر غيبة الإمام الزّمان.

١. العلم والفقاهة

من أبرز صفات حبيب بن مظاهر التي يعبرّ عنها كلام الإمام الحسين عليه السلام، العلم والفقه، كما يقول الإمام الحسين عليه السلام في هذه الميزة الرائعة لحبيب بن مظاهر: «من الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى الرّجل الفقيه حبيب بن مظاهر، أمّا بعد... فأنت تعلم قرابتنا من رسول الله، وأنت أعرف بنا من غيرك، وأنت ذو شيمة وغيره، فلا تبخل عنّا بنفسك، يجازيك جدّي رسول الله يوم القيامة»^(٢)، في هذا الخطاب، يخاطب الإمام الحسين عليه السلام حبيب بن مظاهر بكلمة «الفقيه».

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٢) الصّمياني، حيدر، موسوعة في ظلال شهداء الطّفّ: ج ٢، ص ٧٩.

كلمة «الفقه» تعني المعرفة والفهم في اللغة. قد كتب الجوهري في تعريف هذه الكلمة: «الْفَقْهُ: الفهم. قال أعرابيٌّ لعيسى بن عمر: شهدت عليك بالفقه، تقول منه: فقه الرجل، بالكسر، وفلان لا يفقه ولا ينقه، وأفقهتُك الشيء، ثم خصص به علم الشريعة، والعالم به فقيه، وقد فقه بالضم فقاهاه، وفقهه الله. وتفقه، إذا تعاطى ذلك، وفاقهته، إذا باحثته في العلم»^(١).
أما الفقه في اصطلاح الفقهاء، فقد أطلق الفقه أولاً على ما يرادف لفظ الشرع؛ فكان علم الفقه هو العلم بكل ما جاء من قبل الله سبحانه وتعالى في الدين؛ سواء ما يتعلق بأصول الدين، أو الأخلاق، أو أفعال الجوارح، أو معرفة النفس، أو القرآن وعلومه؛ وهو الذي أوجبه الآية الشريفة: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ...﴾^(٢).

قد أكد القرآن الكريم أهمية التمييز في الدين، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(٣)، في أهمية الفقه وكرامته في الدين، وردت روايات كثيرة عن المعصومين؛ منها: «عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي: «ما عبد الله عز وجل بشيء أفضل من فقه في دين»^(٤).

عن علي بن الحسين أو أبي جعفر؛ قال: «متفقه في الدين أشد على الشيطان من عبادة ألف عابد»^(٥).

عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام؛ قال: «إذا أراد الله بعبده خيراً فقهه في الدين»^(٦).
عن ربيعي بن عبد الله عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام؛ قال: «الكمال كل الكمال التفقه في الدين والصبر على النائبة وتقدير المعيشة»^(٧).

(١) الجوهري، أبو نصر، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، ج ٦، ص ٢٢٤٣.

(٢) مؤسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي، الموسوعة الفقهية: ج ١، ص ١٨.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١، ص ٢١٣.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١، ص ٢١٣.

(٦) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٣٢.

(٧) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٣٢.

كل هذه الأحاديث تشير إلى أهمية الفقه ومكانته في الدين.

وكان معنى الفقيه في الماضي يختلف عن معنى اليوم؛ فاليوم، من وصل إلى درجة الاجتهاد في الأمور الشرعية يسمى فقيهاً، لكنّ الفقيه قديماً كان له معنى عام، ويطلق على من وصل إلى مستوى عالٍ من المعرفة في أصول الدين وتعاليمه، وحدّد بعض الباحثين وكتبوا عن هذا الأمر: «قد أطلق الفقه أولاً على ما يرادف لفظ الشرع، فكان علم الفقه هو العلم بكل ما جاء من قبل الله سبحانه وتعالى في الدين؛ سواء ما يتعلق بأصول الدين، أو الأخلاق، أو أفعال الجوارح، أو معرفة النفس، أو القرآن وعلومه؛ وهو الذي أوجبه الآية الشريفة: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ...﴾^(١) وقد سُمّي بالفقه الأكبر، إلاّ أنّه بالتدريج قد دخله تخصيص كثير؛ فاستبعد علم العقائد وجعل علماً مستقلاً برأسه مسمّى بعلم التوحيد أو علم الكلام، واستبعد علم الأخلاق ومعرفة النفس والسلوك وسُمّي بعلم الأخلاق وعلم العرفان والسلوك، واستبعد ما يتعلق بالقرآن الكريم؛ فسُمّي بعلم التفسير وعلوم القرآن، واستبعد ما يتعلق بأصول الفقه؛ فجعل علماً مستقلاً يبحث عن منهج الاستدلال الفقهيّ، أو الأدلة المشتركة في الفقه، فأخصّص تعريف الفقه الاصطلاحيّ بالعلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية»^(١)؛ لهذا السبب، وعلى حسب تعبير الإمام الحسين؛ فإنّ كون حبيب بن مظاهر فقيهاً يعني علمه وفقهه في الدين كلّه، وليس الأحكام والمسائل الشرعية فحسب، وهذا يعني أنّ حبيب بن مظاهر كان قد وصل إلى درجة عالية من الفهم العميق للدين، ويعني أنّه كان مجتهداً في جميع تعاليم الدين وأحكامه؛ وهو ما اختار له الإمام هذا اللقب، وكان ذلك نتيجة جهود حبيب بن مظاهر في تعلّم تعاليم الدين وأحكامه من أهل البيت عليهم السلام، والتفكير والتفقه في آيات القرآن.

(١) مؤسّسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي، الموسوعة الفقهية: ج ١، ص ١٨.

٢. الشَّجَاعَةُ

ومن أهمّ فضائل شخصيّة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام هي الشَّجَاعَةُ، كما كانت لحبيب بن مظاهر هذه الصّفة المتميّزة طوال حياته؛ ولا سيّما في واقعة الطّفّ.

الشَّجَاعَةُ من الفضائل الأخلاقيّة، وتعني قوّة في القلب يتمكّن معها الشّخص من تحمّل الحرب ومكارهها في حالة لا يؤمن فيها بنفيها على نفسه، أو على بعض أطرافه^(١). قد جرى التّشديد على أهمّيّة الشَّجَاعَةُ في آيات القرآن وروايات المعصومين عليهم السلام. وفي القرآن عدّة آيات مُتعدّدة تتحدّث عن ذلك في وصف المؤمنين وشجاعتهم؛ منها:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾^(٣).

كما تشير روايات المعصومين عليهم السلام إلى أهمّيّة الشَّجَاعَةُ؛ إذ يُعبّر عن الشَّجَاعَةُ في التعاليم الدّينيّة المفهومين؛ الأوّل: هو الشَّجَاعَةُ في ساحة المعركة أمام الأعداء، والمفهوم الثّاني: هو التّغلب على الهوى والنفس. وقد أكّدت بعض الروايات الحالة الثّانية؛ يقول الرّسول الكريم صلى الله عليه وآله عن هذا: «أَشْجَعُ النَّاسِ مَنْ غَلَبَ هَوَاهُ»، وفي رواية أخرى، يُعبّر النّبّي صلى الله عليه وآله عن مفهوم القوّة والشَّجَاعَةُ بهذا الشّكل: «مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِقَوْمٍ يُرَبِّعُونَ حَجْرًا، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: نَعْرِفُ بِذَلِكَ أَشَدَّنَا وَأَقْوَانَا. فَقَالَ صلى الله عليه وآله: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَشَدُّكُمْ وَأَقْوَاكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى! يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: أَشَدُّكُمْ وَأَقْوَاكُمْ الَّذِي إِذَا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي إِثْمٍ وَلَا بَاطِلٍ، وَإِذَا سَخِطَ لَمْ يُخْرِجْهُ سَخِطُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ، وَإِذَا قَدَرَ لَمْ يَتَعَاطَ مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ»^(٤).

(١) شريف مرتضى، على بن حسين، الرّسائل: ج ٢، ص ٢٧٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٤.

(٣) سورة الصّفّ: الآية ٤.

(٤) الصّدوق، محمّد بن بابويه، الأمالي، ص ٢٠.

وفي موضع آخر، يوصف جهاد النفس بالجهاد الأكبر، ويعبر الإمام عليٌّ عن كلام النبي ﷺ بهذه الطريقة: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بَعَثَ سَرِيَّةً، فَلَمَّا رَجَعُوا قَالَ: مَرَجَبًا بِقَوْمٍ قَضَوْا الْجِهَادَ الْأَصْغَرَ، وَبَقِيَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ؟ قَالَ: جِهَادُ النَّفْسِ، ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وآله: أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ»^(١).

إنَّ مفهوم شجاعة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام؛ ومنهم حبيب بن مظاهر؛ هو المصداق الأمثل للشجاعة؛ بمعنى أنهم تغلبوا أولاً على أنفسهم وأنانيتهم واختاروا الطريق الحق؛ وهذا مثال على شجاعة الجهاد الأكبر أو جهاد النفس التي كانت موجودة عند أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، ثانياً، لم يكن لديهم خوف في ساحة المعركة فحسب، بل وقفوا أمام العدو بكل قوتهم ودافعوا عن الإمام الحسين عليه السلام ومثله العليا. وسبب هذه الشجاعة هو الإيمان القوي والعقيدة الراسخة لحبيب بن مظاهر وأصحاب الإمام الحسين عليه السلام، كما يذكر القرآن الكريم أيضاً المؤمنين الحقيقيين وشجاعتهم بعبارة «بُنَيَانٌ مَرْضُوعُونَ»، لذلك، فإنَّ مفهوم الشجاعة كانا موجودين في وجود حبيب بن مظاهر وأصحاب الإمام الحسين عليه السلام بمعناه الحقيقي.

٣. الأُنْسُ مَعَ الْقُرْآنِ

من السَّماتِ المِهْمَّةِ لحبيب بن مظاهر قراءة القرآن الكريم وتلاوته بتدبّر معانيه ومفاهيمه، قَبْلَ الحَبِيبِ ولَايَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام وفدى حياته على خطى الأئمة بسبب تفكيره في القرآن الكريم وفهم تعاليمه؛ لأنَّ مكانة آل النبي صلى الله عليه وآله مذكورة في القرآن الكريم، وأصبح حبيب بن مظاهر من خاصّة أصحاب الأئمة عليهم السلام، بتدبّر آيات القرآن الكريم وكلام الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بشأن ولاية أهل البيت عليهم السلام.

أمَّا عن فضل حبيب بن مظاهر ومكانته القرآنيّة؛ فقد رُوِيَ كلام في هذا الموضوع عن الإمام الحسين عليه السلام، الَّذِي أَتَى إِلَى جَسَدِ حَبِيبٍ عِنْدَ اسْتِشْهَادِهِ؛ فَقَالَ: «رَحِمَكَ اللَّهُ يَا حَبِيبُ، لَقَدْ كُنْتَ تَخْتَمُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَنْتَ فَاضِلٌ»^(٢)، تدلُّ هذه الجملة على أنَّ حبيباً كان له أنس كامل بالقرآن الكريم، وكان دائماً ملتماً بقراءته وتدبّر معانيه ومفاهيمه.

(١) الصّدوق، محمّد بن بابويه، الأمالي: ص ٤٦٧.

(٢) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينجيع المودّة: ج ٣، ص ٧١.

هناك كثير من الآيات والأحاديث المتعلقة بتلاوة القرآن وقراءته. جاء في القرآن الكريم عن الذين يتلون القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾^(١)، ومن جهة أخرى؛ فإن ختم القرآن في ليلة واحدة لا يُستبعد في ما يخص من يحفظون القرآن الكريم ويلتمون بمفاهيمه، كما ورد في بعض الروايات. قد روي عن الإمام الكاظم عليه السلام في هذا الباب: «عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ إِنَّ أَبِي سَأَلَ جَدَّكَ عَنْ خْتَمِ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، فَقَالَ لَهُ جَدُّكَ: كُلُّ لَيْلَةٍ، فَقَالَ لَهُ: فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ لَهُ جَدُّكَ: فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: نَعَمْ مَا اسْتَطَعْتُ، فَكَانَ أَبِي يَخْتِمُهُ أَرْبَعِينَ خْتَمَةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، ثُمَّ خْتَمْتُهُ بَعْدَ أَبِي، فَرَبَّمَا زِدْتُ وَرَبَّمَا نَقَصْتُ عَلَى قَدْرِ فَرَاعِي وَسُغْلِي وَنَشَاطِي وَكَسْلِي، فَإِذَا كَانَ فِي يَوْمِ الْفِطْرِ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله خْتَمَةً وَلِعَلِّي عليه السلام أُخْرَى وَلِفَاطِمَةَ عليها السلام أُخْرَى، ثُمَّ لِلْأُمَّةِ عليهم السلام حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَيْكَ، فَصَيَّرْتُ لَكَ وَاحِدَةً مُنْذُ صَبَرْتُ فِي هَذَا الْحَالِ، فَأَيُّ شَيْءٍ لِي بِذَلِكَ؟ قَالَ: لَكَ بِذَلِكَ أَنْ تَكُونَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَلِي بِذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»^(٢).

لذلك استطاع حبيب بن مظاهر أن يختم القرآن في ليلة واحدة بحسب مفاهيم القرآن، النقطة المهمة هي أن الأمر لا يقتصر على ختم القرآن في ليلة واحدة فقط؛ هناك نقطة مهمة في كلام الإمام الحسين عليه السلام، وهي أن هذا الكلام يعبر عن الموقف القرآني لحبيب بن مظاهر، من حيث مدى إلمامه بالقرآن الكريم وحرصه على تلاوته وتدبره، وهذه من الصفات المميزة لمحبي أهل البيت عليهم السلام الذين يتمتعون بعلاقة كاملة بالقرآن الكريم.

٤. العبادة والعبودية

ومن خصائص أصحاب الإمام الحسين عليه السلام عبادتهم وعبوديتهم. هناك ألقاب كثيرة كريمة وسامية في المتون الروائية والتاريخية قد أُطلقت على الجيش الحسيني في كربلاء؛ منها: «عباد الله الصالحون؛ عشاق الشهداء؛ العباد النساك؛ الطيبون؛ الذَّاكرون الله؛ أهل البصائر؛ حملة الحديث؛ الأتقياء الأبرار؛ المجتهدون بالأسحار»^(٣).

(١) سورة الفاطر: الآية ٢٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ١٨.

(٣) الطَّبْسِي، مُحَمَّد جعفر، مولائي، عزت الله، مع الركب الحسيني: ج ٤، ص ٢١٥.

لقد كان أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) عبادًا مخلصين لله، وكان طريق حياتهم هو خدمة الله؛ وهذا ما يوضحه القرآن الكريم في غاية خلق الإنسان، كما يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١). نعم! إن مفهوم العبودية بمعناه الحقيقي كان موجودًا عند أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام)، وكان حبيب بن مظاهر أيضًا ممن كانت فيه هذه الصفة. إن العبودية في وجود حبيب بن مظاهر وأصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) لم تكن تعني أداء المناسك ظاهريًا فحسب؛ لأن عمر بن سعد وأصحابه كانوا يصلون أيضًا، لكن صلاتهم كانت بعيدة عن معرفة الله وعبادته. أمّا أصحاب الإمام الحسين، فكانوا يعبدون الله لعمق علمهم وفهمهم، ومن أجل معرفة الله وعبادته أعانوا وليّ الله وحبّته، وهذا معنى العبودية ومعرفة الله موجود في كلام الإمام الحسين (عليه السلام)؛ إذ قال: «أيها الناس، إن الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه؛ فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه»، فقال له رجل: يا ابن رسول الله، بأبي أنت وأمي؛ فما معرفة الله؟ فقال الإمام: «معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته»^(٢).

لهذا، كان لحبيب بن مظاهر معرفة خاصّة لعبودية الله، ومن أجل هذه المعرفة وصل إلى معرفة حجّة الله ونصرته.

٥. الغيرة الدنيّة

يُشدّد على الغيرة والذكورة في التعاليم الدنيّة؛ ومن أهمّ الأمثلة على الغيرة هي الغيرة الدنيّة: إن الغيرة الدنيّة تعني أن المؤمن ملتزم بدين الله؛ وهذه صفة روحية بارزة يضعها الله في وجود المؤمنين؛ يكتب الملا أحمد نراقي في تعريف الغيرة وأهميّتها في روايات المعصومين (عليهم السلام): «هو السعي في محافظة ما يلزم محافظته، وهو من نتائج الشجاعة وكبر النفس وقوتها، وهي شرايف الملكات، وبها تتحقّق الرجولة والفحولة، والفاقد لها غير معدود من الرجال»؛ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنّ سعدًا لغيرور، وأنا أغير من سعد، والله أغير

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) الطّبي، محمّد جعفر، مولائي، عزّت الله، مع الرّكب الحسيني: ج ٤، ص ٢١٥.

مَنِّي»، وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَغَيُورٌ، وَلَأَجَلَ غَيْرَتَهُ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ»، وقال: «إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَالْمُؤْمِنُ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ»، وقال الصَّادِقُ (عليه السلام): «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَيُورٌ وَيُحِبُّ الْغَيْرَةَ، وَلغَيْرَتِهِ حَرَمَ الْفَوَاحِشَ ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا»^(١).

يُخَاطَبُ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ (عليه السلام) حَبِيبَ بْنِ مَظَاهِرِ هَذِهِ الصِّفَةِ الرَّوْحِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ الْمُتَمَيِّزَةِ؛ فيقول: «وَأَنْتَ ذُو شِيْمَةٍ وَغَيْرَةٍ، فَلَا تُبْخَلْ عَلَيْنَا بِنَفْسِكَ، يَجَازِيكَ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)، في هذا الخطاب، يقدِّمُ الإمامُ الحُسينَ حَبِيبًا عَلَى أَنَّهُ يَنْهَازُ بِشَخْصِيَّةِ غَيُورٍ، وَهَذِهِ الْغَيْرَةُ فِي كَلَامِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) هِيَ الْغَيْرَةُ نَفْسَهَا بِالْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ لِلْكَلِمَةِ. الشَّخْصُ الْغَيُورُ يَنْصُرُ دِينَ اللَّهِ، وَوَلِيَّ اللَّهِ وَمَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِاتِّبَاعِهِ، وَالْغَيُورُ يَفْضَلُ اللَّهَ وَالنَّبِيَّ وَأَوْلِيَاءَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، إِنَّ كَوْنَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) يُخَاطَبُ حَبِيبًا بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الْمِيزَةَ الْبَارِزَةَ كَانَتْ فِي حَبِيبِ بْنِ مَظَاهِرٍ؛ وَهُوَ أَنَّهُ فَضَّلَ نَصْرَةَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) وَنَصْرَتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَفَدَى حَيَاتِهِ فِي هَذَا السَّبِيلِ؛ وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةُ لِلْغَيْرَةِ.

٦. الْإِيمَانُ الْجَازِمُ بِإِمَامَةِ الْأَئِمَّةِ (عليهم السلام)

قَدْ شَدَّدَ عَلَى قَبُولِ الْوَلَايَةِ عَلَى أَنَّهَا أَسَاسُ مَهَمِّ فِي التَّعَالِيمِ الدِّينِيَّةِ. فَمَعْرِفَةُ الْإِمَامِ وَمُتَابَعَتُهُ هِيَ الشَّكْلُ الْأَسَاسِيُّ لِلْوَلَايَةِ، وَالْوَلَايَةُ هِيَ فِي الْأَسَاسِ كَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّوْحِيدِ، بِمَعْنَى أَنَّ الشَّخْصَ الْمُوَحَّدَ يَقْبَلُ وَوَلَايَةَ أَوْلِيَاءِ الَّذِينَ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِقَبُولِ الْوَلَايَةِ وَالتَّوْحِيدِ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ كَالتَّوْحِيدِ فِي الْوَلَايَةِ وَالتَّوْحِيدِ، الْوَلَايَةُ تَعْنِي قَبُولَ الْوَصَايَةِ وَالتَّخْلَافَةَ لِلْأَئِمَّةِ الْمُعْصُومِينَ (عليهم السلام) بَعْدَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ فَالْوَلَايَةُ مَهْمَةٌ؛ إِذْ إِنَّ شَرْطَ دُخُولِ حِصْنِ تَوْحِيدِ اللَّهِ هُوَ قَبُولُ وَصَايَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عليهم السلام): «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي؛ فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي»، قَالَ: فَلَمَّا مَرَّتِ الرَّاحِلَةُ نَادَانَا بِشَرْطِهَا، وَأَنَا مِنْ شَرْطِهَا»^(٣).

مِنْ أَهَمِّ الْآيَاتِ الَّتِي تَعْبَّرُ عَنِ الْوَلَايَةِ فِي جَمِيعِ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ هِيَ الْآيَةُ ٥٥ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ؛ وَهِيَ الْآيَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِآيَةِ الْوَلَايَةِ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا

(١) النَّرَاقِيُّ، مَلَأَ أَحْمَدَ، جَامِعُ السَّعَادَاتِ: ج ١، ص ٣٠٢.

(٢) الصَّمِيَانِيُّ، حَيْدَرُ، مُوسِعَةٌ فِي ظِلَالِ شَهَدَاءِ الطَّفِّ: ج ٢، ص ٧٩.

(٣) الصَّدُوقُ، مُحَمَّدُ بْنُ بَابُوِيَه، عَيُونُ أَخْبَارِ الرِّضَا: ج ٢، ص ١٣٥.

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ^(١)، في هذه الآية يذكر الله درجات الولاية، فتكون ولاية الله أولاً، ثم الرسول الكريم ﷺ، ثم ولاية الذين يؤمنون ويدفعون الزكاة في أثناء الركوع. وبحسب آراء المفكرين الشيعة وبعض المفكرين السنة، فإن المثال الرئيس لـ «المؤمنين» هو الإمام علي^(٢) عليه السلام.

للولاية آثار مهمة في حياة الدنيا والآخرة؛ وهي مذكورة في روايات المعصومين عليه السلام: «عن عمّار السَّاباطيِّ؛ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ فقال: «الذين اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ هم الأئمَّة، وهم والله يا عمّار درجات للمؤمنين، وبولايتهم ومعرفتهم إياهم يضاعف الله لهم أعمالهم ويرفع الله لهم الدرجات العلى».

عن عمّار الأسديِّ عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ قال: ولايتنا أهل البيت، وأهوى بيده إلى صدره، فمن لم يتولَّنَّا لم يرفع الله له عملاً^(٣)، إنَّ قبول ولاية أهل البيت عليه السلام فضلاً عن تعزيز المعرفة والإيمان هو التزام؛ بمعنى أنَّه في الممارسة العملية يحدِّد أيضاً ما يجب فعله وما لا يجب فعله في الحياة؛ ممَّا يمنع المرء من الدخول في طريق الخطيئة أو الفتنة.

من أهمِّ صفات حبيب بن مظاهر إيمانه الجازم بولاية وإمامة الأئمَّة المعصومين، لقد اهتمَّ حبيب بن مظاهر بآيات القرآن وكلام النَّبِيِّ الأعظم بشأن ولاية الأئمَّة المعصومين عليه السلام، واستمع إلى رسالة القرآن والنَّبِيِّ هذه بكلِّ قلبه وقبَل ولاية أهل البيت عليه السلام على يقين راسخ، هكذا قال الإمام الحسين عن موقف حبيب بن مظاهر في معرفة أهل البيت والإمامة: «وأنت

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٢) انظر: المفيد، محمَّد بن نعمان، تفسير القرآن المجيد: ج ١، ص ١٨٢؛ الطَّبري، ابن جرير رستم، دلائل الإمامة: ص ١٩؛ أبو الفتح الرَّازي: تفسير روح الجنان: ج ٧، ص ٢٧؛ قطب الرَّاوندي، فقه القرآن في شرح آيات الأحكام: ج ١، ص ١١٦؛ ابن شهر آشوب، متشابه القرآن ومختلفة: ج ٢، ص ٣٠؛ الحلي، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: ص ١٧٢؛ الجصاص، أحكام القرآن: ج ٢، ص ٥٥٧؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج ٢، ص ٧٤؛ السيوطي، تفسير الدر المنثور: ص ٨١.

(٣) الكليني، محمَّد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٤٣٧-٤٣٠.

أعرف بنا من غيرك»^(١)؛ هذا الكلام يعني أنّ حبيب بن مظاهر قد وصل إلى مستوى معرفة الإمام، وأن يخاطبه الإمام هكذا، لم تكن هذه المعرفة معرفة ظاهرية؛ لأن الآخرين أيضاً يعرفون الإمام الحسين عليه السلام جيداً أنه ابن الإمام علي عليه السلام وسبط النبي صلى الله عليه وآله؛ فهذه المعرفة معرفة ظاهرية، إذا كانت المعرفة التي يخاطبها الإمام الحسين عليه السلام لحبيب بن مظاهر في هذه الجملة هي المعرفة الحقيقية وفهم مكانة الإمام.

فمنذ زمن الإمام علي عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام إلى زمن الإمام الحسين عليه السلام، كان حبيب بن مظاهر من الذين آمنوا بالخلافة والولاية للأئمة المعصومين بعد النبي صلى الله عليه وآله؛ وهذا الإيثار الراسخ جعل حبيباً من أصحابهم المخلصين والأوفياء في عهد كل واحد من الأئمة، وكانت هذه سمة مهمة جداً لحبيب بن مظاهر.

٧. الوفاء

ومن السمات الأخر لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام وفاؤهم، يُعَدُّ القرآن الكريم المخلصين هم الذين أهل الوفاء ووافون لوعودهم: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾^(٢)، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في ما يتعلق بالوفاء والوفاء بالعهد: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَفِ إِذَا وَعَدَ»^(٣)، ويقول الإمام علي عليه السلام عن أهمية الوفاء: «وَالْوَفَاءُ كَيْلٌ»^(٤)، ويقول في موضع آخر: «الْوَفَاءُ عُنْوَانُ وَفُورِ الدِّينِ وَقُوَّةُ الْأَمَانَةِ»^(٥).

هكذا قال الإمام الحسين عليه السلام في وصف أصحابه: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْفَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي وَلَا أَهْلَ بَيْتِ آبَرٍّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزَاكُمُ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا»^(٦).

(١) الصّمياني، حيدر، موسوعة في ضلال شهداء الطّفّ: ج ٢، ص ٧٩.

(٢) سورة الرّعد: الآية ٢٠.

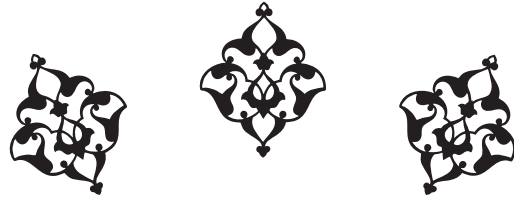
(٣) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٦٤.

(٤) الصدوق، محمّد بن بابويه، الخصال: ج ٢، ص ٥٠٦.

(٥) الأمدي، عبد الواحد، تصنيف غرر الحكم، ص ٢٥١.

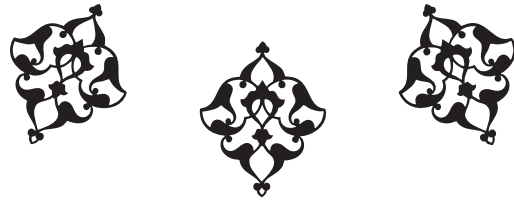
(٦) المفيد، محمّد بن نعمان، الإرشاد: ج ٢، ص ٩١.

هذا القول للإمام عليه السلام يعني أن أصحابه قد أدّوا الوفاء بمعناه الحقيقي ووفوا بعهدهم
تُجاه الإمام الحسين عليه السلام، بمعنى آخر، كان الوفاء للإمام الحسين عليه السلام بمثابة الوفاء بالعهد مع
الله؛ فقد ساعد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الإمام نيابة عنه في مرضاة الله ونصرة دينه، و
بالتضحية بحياتهم في سبيل الله، أظهروا الوفاء الحقيقي.



الفصل السابع:

زيارات حبيب بن مظاهر



زيارات حبيب بن مظاهر

قد وردت زيارات متعددة لزيارة حبيب بن مظاهر، ورد بعضها عمومًا في زيارة شهداء كربلاء، وهناك زيارة مذكورة على وجه الخصوص لحبيب بن مظاهر، وهي ما سيأتي بيانها.

الزيارة الأولى

وهي زيارة ذكرها الشهيد الأول في كتاب المزار لشهداء كربلاء، ويظهر اسم حبيب بن مظاهر أيضًا في هذه الزيارة:

«ثُمَّ التَّمَّتْ نَحْوَ الشَّهَدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقُلَّ: السَّلَامُ عَلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنْفِيِّ السَّلَامُ عَلَى حُرِّ بْنِ يَزِيدِ الرِّيَاحِيِّ السَّلَامُ عَلَى زُهَيْرِ بْنِ الْقَيْنِ السَّلَامُ عَلَى حَبِيبِ بْنِ مُظَاهِرِ السَّلَامُ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عَوْسَجَةَ السَّلَامُ عَلَى عُقْبَةَ بْنِ سَمْعَانَ السَّلَامُ عَلَى بُرَيْرِ بْنِ خُضَيْرِ السَّلَامُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرِ السَّلَامُ عَلَى نَافِعِ بْنِ هَلَالِ السَّلَامُ عَلَى مُنْدِرِ بْنِ الْفَضْلِ الْجُعْفِيِّ السَّلَامُ عَلَى عَمْرٍو بْنِ قَرْظَةَ الْأَنْصَارِيِّ السَّلَامُ عَلَى أَبِي ثَمَامَةَ الصَّائِدِيِّ السَّلَامُ عَلَى جَوْنِ مَوْلَى أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ السَّلَامُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيِّ السَّلَامُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنَيْ عُرْوَةَ السَّلَامُ عَلَى سَيْفِ بْنِ الْحَارِثِ السَّلَامُ عَلَى مَالِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَائِرِيِّ السَّلَامُ عَلَى حَنْظَلَةَ بْنِ أَسْعَدِ الشَّبَامِيِّ السَّلَامُ عَلَى قَاسِمِ بْنِ الْحَارِثِ الْكَاهِلِيِّ السَّلَامُ عَلَى بَشِيرِ بْنِ عَمْرٍو الْحَضْرَمِيِّ السَّلَامُ عَلَى عَابِسِ بْنِ أَبِي شَيْبِ السَّاكِرِيِّ السَّلَامُ عَلَى حَجَّاجِ بْنِ مَسْرُوقِ الْجُعْفِيِّ السَّلَامُ عَلَى عَمْرٍو بْنِ خَلْفِ وَسَعِيدِ مَوْلَاهُ السَّلَامُ عَلَى حَيَّانِ بْنِ الْحَارِثِ السَّلَامُ عَلَى مُجَمِّعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَائِدِيِّ السَّلَامُ عَلَى نُعَيْمِ بْنِ عَجْلَانَ السَّلَامُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدِ السَّلَامُ عَلَى عِمْرَانَ بْنِ كَعْبِ الْأَنْصَارِيِّ السَّلَامُ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَوْفِ الْحَضْرَمِيِّ السَّلَامُ عَلَى قَيْسِ بْنِ مُسَهْرِ الصَّيْدَاوِيِّ السَّلَامُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ فَرْوَةَ الْغِفَارِيِّ السَّلَامُ عَلَى غِيْلَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلَامُ عَلَى قَيْسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْهَمْدَانِيِّ السَّلَامُ عَلَى عُمَيْرِ بْنِ كِنَادِ السَّلَامُ عَلَى جَبَلَةَ بْنِ عَلِيِّ الشَّيْبَانِيِّ السَّلَامُ عَلَى

مُسْلِمِ بْنِ كِنَادِ السَّلَامِ عَلَى سَلْمَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَزْدِيِّ السَّلَامِ عَلَى حَمَادِ بْنِ حَمَادِ الْمُرَادِيِّ
السَّلَامِ عَلَى عَامِرِ بْنِ مُسْلِمٍ وَمَوْلَاهُ مُسْلِمِ السَّلَامِ عَلَى بَدْرِ بْنِ رَقِيطٍ وَأَبْنَيْهِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبِيدِ
اللَّهِ السَّلَامِ عَلَى رُمَيْثِ بْنِ عَمْرِو السَّلَامِ عَلَى سُفْيَانَ بْنِ مَالِكِ السَّلَامِ عَلَى زُهَيْرِ بْنِ سَيَّابِ
السَّلَامِ عَلَى قَاسِطِ وَكَرِشِ ابْنَيْ زُهَيْرِ السَّلَامِ عَلَى كِنَانَةَ بْنِ عَتِيقِ السَّلَامِ عَلَى عَامِرِ بْنِ
مَالِكِ السَّلَامِ عَلَى مَنِيعِ بْنِ زِيَادِ السَّلَامِ عَلَى نُعْمَانَ بْنِ عَمْرِو السَّلَامِ عَلَى الْحَلَّاسِ بْنِ
عَمْرِو السَّلَامِ عَلَى عَامِرِ بْنِ خَلِيدَةَ السَّلَامِ عَلَى زَائِدَةَ بْنِ مُهَاجِرِ السَّلَامِ عَلَى شَيْبِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ النَّهْشَلِيِّ السَّلَامِ عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ بَدْرِ السَّلَامِ عَلَى جَوْزِينَ بْنِ مَالِكِ السَّلَامِ عَلَى
ضُبَيْعَةَ بْنِ عَمْرِو السَّلَامِ عَلَى زُهَيْرِ بْنِ بَشِيرِ السَّلَامِ عَلَى مَسْعُودِ بْنِ الْحَجَّاجِ السَّلَامِ عَلَى
عَمَّارِ بْنِ حَسَّانِ السَّلَامِ عَلَى جُنْدَبِ بْنِ حُجَيْرِ السَّلَامِ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ كَثِيرِ السَّلَامِ عَلَى
زُهَيْرِ بْنِ سُلَيْمِ السَّلَامِ عَلَى قَاسِمِ بْنِ حَبِيبِ السَّلَامِ عَلَى أَنَسِ بْنِ كَثِيرِ السَّلَامِ عَلَى أَنَسِ بْنِ
كَاهِلِ الْأَسَدِيِّ السَّلَامِ عَلَى الْحُرِّ بْنِ يَزِيدِ الرِّيَاحِيِّ السَّلَامِ عَلَى ضِرْغَامَةَ بْنِ مَالِكِ السَّلَامِ
عَلَى زَاهِرِ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ السَّلَامِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَقْطُرِ رَضِيعِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ
السَّلَامِ عَلَى مُنَجِّحِ مَوْلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ عَلَى سُؤَيْدِ مَوْلَى شَاكِرِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا
الرَّبَّانِيُّونَ أَنْتُمْ خَيْرَةُ اخْتَارَكُمْ اللَّهُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ وَأَنْتُمْ خَاصَّةُ اخْتَصَّكُمْ اللَّهُ
أَشْهَدُ أَنَّكُمْ قَاتِلْتُمْ عَلَى الدُّعَاءِ إِلَى الْحَقِّ وَنَصَرْتُمْ وَوَفَيْتُمْ وَبَدَلْتُمْ مَهْجَكُمْ مَعَ ابْنِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ وَأَنْتُمْ السَّعْدَاءُ سَعَدْتُمْ وَفَزْتُمْ بِالذَّرَجَاتِ الْعُلَى فَجَزَاكُمْ اللَّهُ مِنْ أَعْوَانٍ وَإِخْوَانٍ خَيْرِ
مَا جَازَى مَنْ صَبَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَنِيئًا لَكُمْ مَا أُعْطِيتُمْ وَهَنِيئًا لَكُمْ مَا بِهِ حُسْنُ طَافَتْ
عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَةُ وَبَلَّغْتُمْ بِهَا شَرَفَ الْآخِرَةِ»^(١).

الزيارة الثانية

وهذه الزيارة ذكرها المشهدي في كتاب المزار لزيارة شهداء كربلاء، كما ورد في هذه الزيارة اسم حبيب بن مظاهر:
زيارة الشهداء رضوان الله عليهم في يوم عاشوراء.

أخبرني الشريف الجليل العالم أبو الفتح محمد بن محمد الجعفري أدام الله عزه، قال: أخبرني الشيخ الفقيه عماد الدين محمد بن أبي القاسم الطبري، عن الشيخ أبي علي الحسن بن محمد الطوسي. وأخبرني عاليًا الشيخ الفقيه أبو عبد الله الحسين بن هبة الله بن رطبة رضي الله عنه، قال: أخبرني شيخي المفيد الحسن بن محمد الطوسي، عن الشيخ أبي جعفر محمد الطوسي، قال: حدثنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عياش رحمه الله، حدثني الشيخ الصالح أبو ميسور بن عبد المنعم بن النعمان المعادي رحمه الله، قال: خرج من الناحية سنة اثنتين وخمسين ومئتين على يد الشيخ محمد بن غالب الأصفهاني عند وفاة أبي رحمه الله، وكنت حدث السن، فكنت أستأذن في زيارة مولاي أبي عبد الله عليه السلام وزيارة الشهداء رضوان الله عليهم، فخرج إلي منه:

بسم الله الرحمن الرحيم، إذا أردت زيارة الشهداء رضوان الله عليهم، فقف عند رجلي الحسين عليه السلام، وهو قبر علي بن الحسين صلوات الله عليهما. فاستقبل القبلة بوجهك، فإن هناك حومة الشهداء عليهم السلام، وأومئ وأشر إلى علي بن الحسين عليه السلام، وقل:

السلام عليك يا أول قتيل من نسل خير سليل من سلالة إبراهيم الخليل، صلى الله عليك وعلى أبيك؛ إذ قال فيك: قتل الله قوماً قتلوك، يا بُنَيَّ ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفا، كأنني بك بين يديه ماثلاً، وللكافرين قائلاً:

أنا علي بن الحسين بن علي	نحن وبيت الله أولى بالنبي
أطعنكم بالرّمح حتى يثني	أضربكم بالسيف أحمي عن أبي
ضرب غلام هاشمي عربي	والله لا يحكم فينا ابن الدعي
حتى قضيت نحبك ولقيت ربك، أشهد أنك أولى بالله وبرسوله، وأنت ابن حجته	

وأمينه، حكم الله لك على قاتلك مرّة بن منقذ بن النّعمان العبديّ، لعنه الله وأخزاه، ومن شرّكه في قتلك، وكانوا عليك ظهيراً، أصلاهم الله جهنّم وساءت مصيراً، وجعلنا الله من ملائكتك ومرافقتك، ومرافقتي جدّك وأبيك، وعمّك وأخيك، وأمّك المظلومة، وأبرأ إلى الله من قاتلك، وأسأل الله مرافقتك في دار الخلود، وأبرأ إلى الله من أعدائك وأولي الجحود، والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته، السّلام على عبد الله بن الحسين، الطّفّل الرّضيع، والمرمي الصّريع، المتشحّط دمًا، المصعّد دمه في السّماء، المذبوح بالسّهم في حجر أبيه، لعن الله راميّه، حرمله بن كاهل الأسدّي وذويه، السّلام على عبد الله بن أمير المؤمنين، مبلي البلاء، والمنادي بالولاء في عرصة كربلاء، المضروب مقبلاً ومدبراً، ولعن الله قاتله هاني بن ثبيت الحضرميّ، السّلام على العباس بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له الواقفي، السّاعي إليه بمائه، المقطوعة يده، لعن الله قاتليه، يزيد بن الرّقاد، وحكيم بن الطّفيل الطّائي، السّلام على جعفر بن أمير المؤمنين، الصّابر بنفسه محتسباً، والنّائي عن الأوطان مغترباً، المستسلم للقتال، المستقدم للترّال، المكثور بالرجال، لعن الله قاتله هاني بن ثبيت الحضرميّ، السّلام على عثمان بن أمير المؤمنين، سمّي عثمان بن مظعون، لعن الله راميّه بالسّهم خولي بن يزيد الأصبحيّ الإياديّ الدّارميّ، السّلام على محمّد بن أمير المؤمنين، قتيل الإياديّ الدّارميّ، لعنه الله وضاعف له العذاب الأليم، وصلى الله عليك يا محمّد وعلى أهل بيتك الصّابرين، السّلام على أبي بكر بن الحسن الزّكيّ الوليّ، المرميّ بالسّهم الرّديّ، لعن الله قاتله عبد الله بن عقبة الغنويّ، السّلام على عبد الله بن الحسن بن عليّ الزّكيّ، لعن الله قاتله وراميّه، حرمله بن كاهل الأسدّي، السّلام على القاسم بن الحسن بن عليّ، المضروب هامته، المسلوب لامته حين نادى الحسين عمّه فجاء عليه عمّه كالصّقر، وهو يفحص برجله التّراب، والحسين يقول: «بعداً لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة جدّك وأبوك»، ثمّ قال: «عزّ والله على عمّك أن تدعوّه فلا يجيبك، أو يجيبك وأنت قتيل جدّك فلا ينفعك، هذا والله يوم كثر وطره وقلّ ناصره، جعلني الله

معكما يوم جمعكما، وبوأي ميوأكما»، ولعن الله قاتلك عمر بن سعد بن نفيل الأزدي، وأصله جحيماً، وأعد له عذاباً أليماً، السلام على عون بن عبد الله بن جعفر الطيار في الجنان، حليف الإيمان، ومنازل الأقران، الناصح للرحمن، التالي للمثاني والقرآن، لعن الله قاتله عبد الله بن قطبة النبهاني، السلام على محمد بن عبد الله بن جعفر، الشاهد مكان أبيه، والتالي لأخيه، وواقيه ببدنه، لعن الله قاتله عامر بن نهشل التيمي، السلام على جعفر بن عقيل، لعن الله قاتله بشر بن خوط الهمداني، السلام على عبد الرحمن بن عقيل، ولعن الله قاتله وراميه عمر بن أسد الجهني، السلام على القتيل بن القتيل، عبد الله بن مسلم بن عقيل، لعن الله راميه عمرو بن صبيح الصيداوي، السلام على محمد بن أبي سعيد بن عقيل، لعن الله قاتله لقيط بن ياسر الجهني، السلام على سليمان مولى الحسن بن أمير المؤمنين، لعن الله قاتله سليمان بن عوف الحضرمي، السلام على قارب مولى الحسين بن علي، السلام على منجح مولى الحسين بن علي، السلام على مسلم بن عوسجة الأسدي، القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف: «أنحن نخلي عنك وبم نعتذر إلى الله من أداء حقك؟» ولا والله حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي، ما ثبت قائمه في يدي، ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أفاتلهم به لقدفتهم بالحجارة، ثم لم أفارقك حتى أموت معك، وكنت أول من شرى نفسه، وأول شهيد من شهداء الله قضى نجه، وفزت ورب الكعبة، شكر الله لك استقدامك ومواساتك إمامك؛ إذ مشى إليك وأنت صريع فقال: يرحمك الله يا مسلم بن عوسجة، وقرأ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾، لعن الله المشتركين في قتلك: عبد الله الضبابي، وعبد الله بن خشكاراة البجلي.

السلام على سعيد بن عبد الله الحنفي، القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف: «لا والله لا نخليك حتى يعلم الله أننا قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك، والله لو أعلم أنني أقتل ثم أحرق ثم أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة، ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك، وإنما هي موتة أو قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً؛

فقد لقيت حِمَامَكَ ووَاسَيْتَ إِمَامَكَ، وَلَقِيتَ مِنَ اللَّهِ الْكِرَامَةَ فِي دَارِ الْمَقَامَةِ، حَشَرْنَا اللَّهَ مَعَكُمْ فِي الْمُسْتَشْهِدِينَ، وَرَزَقْنَا مِرَافِقَتَكُمْ فِي أَعْلَى عَلِيِّينَ»، السَّلَامُ عَلَى بَشِيرِ بْنِ عَمْرِو الْحَضْرَمِيِّ، شَكَرَ اللَّهُ لَكَ قَوْلَكَ لِلْحُسَيْنِ وَقَدْ أذِنَ لَكَ فِي الْإِنْصِرَافِ: «أَكَلْتَنِي إِذَا السَّبَاعُ حَيًّا إِذَا فَارَقْتِكَ، وَأَسْأَلُ عَنْكَ الرَّكْبَانَ، وَأَخَذَ لَكَ مَعَ قَلَّةِ الْأَعْوَانِ، لَا يَكُونُ هَذَا أَبَدًا» السَّلَامُ عَلَى زَيْدِ بْنِ حَصِينِ الْهَمْدَانِيِّ الْمَشْرُقِيِّ الْقَارِي الْمَجْدَلِ، السَّلَامُ عَلَى عَمْرَانَ بْنِ كَعْبِ الْأَنْصَارِيِّ، السَّلَامُ عَلَى نَعِيمِ بْنِ عَجْلَانَ الْأَنْصَارِيِّ، السَّلَامُ عَلَى زَهِيرِ بْنِ الْقَمِينِ الْبَجَلِيِّ، الْقَائِلِ لِلْحُسَيْنِ وَقَدْ أذِنَ لَهُ فِي الْإِنْصِرَافِ: «لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا، أَتْرُكُ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَسِيرًا فِي يَدِ الْأَعْدَاءِ وَأَنْجُو؟!، لَا أَرَانِي اللَّهَ ذَلِكَ الْيَوْمَ» السَّلَامُ عَلَى عَمْرُو بْنِ قَرْظَةَ الْأَنْصَارِيِّ، السَّلَامُ عَلَى حَبِيبِ بْنِ مَظَاهِرِ الْأَسَدِيِّ، السَّلَامُ عَلَى الْحَرِّ بْنِ يَزِيدِ الرِّيَاحِيِّ، السَّلَامُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمِيرِ الْكَلْبِيِّ، السَّلَامُ عَلَى نَافِعِ بْنِ هَلَالِ الْبَجَلِيِّ الْمَرَادِيِّ، السَّلَامُ عَلَى أَنَسِ بْنِ كَاهِلِ الْأَسَدِيِّ، السَّلَامُ عَلَى قَيْسِ بْنِ مَسَهَّرِ الصَّيْدَاوِيِّ، السَّلَامُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِي عُرُوَةَ بْنِ حِرَاقِ الْغِفَارِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَى جُونِ مَوْلَى أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ، السَّلَامُ عَلَى شَيْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّهْشَلِيِّ، السَّلَامُ عَلَى الْحِجَاجِ بْنِ زَيْدِ السَّعْدِيِّ.

السَّلَامُ عَلَى قَاسِطِ وَكَرْدُوسِ ابْنِي زَهِيرِ التَّغْلِبِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَى كِنَانَةَ بْنِ عَتِيقِ، السَّلَامُ عَلَى ضَرْغَامَةَ بْنِ مَالِكِ، السَّلَامُ عَلَى جَوْينِ بْنِ مَالِكِ الضُّبَعِيِّ. السَّلَامُ عَلَى عَمْرُو بْنِ ضَبِيعَةَ، السَّلَامُ عَلَى زَيْدِ بْنِ ثَبِيتِ الْقَيْسِيِّ، السَّلَامُ عَلَى عَامِرِ بْنِ مُسْلِمِ، السَّلَامُ عَلَى قَعْنَبِ بْنِ عَمْرُو التَّمْرِيِّ، السَّلَامُ عَلَى سَالِمِ مَوْلَى عَامِرِ بْنِ مُسْلِمِ، السَّلَامُ عَلَى سَيْفِ بْنِ مَالِكِ، السَّلَامُ عَلَى زَهِيرِ بْنِ بَشْرِ الْخَثْعَمِيِّ، السَّلَامُ عَلَى بَدْرِ بْنِ مَعْقِلِ الْجَعْفِيِّ، السَّلَامُ عَلَى عَمَّارِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ الْحِجَاجِ وَابْنِهِ، السَّلَامُ عَلَى مَجْمَعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَائِدِيِّ، السَّلَامُ عَلَى عَمَّارِ بْنِ حِيَانَ بْنِ شَرِيحِ الطَّائِيِّ، السَّلَامُ عَلَى حِيَانَ بْنِ الْحَارِثِ السَّلْمَانِيِّ الْأَزْدِيِّ، السَّلَامُ عَلَى جَنْدَبِ بْنِ حَجْرِ الْخَوْلَانِيِّ، السَّلَامُ عَلَى عَمْرِ بْنِ خَالِدِ الصَّيْدَاوِيِّ، السَّلَامُ عَلَى سَعِيدِ مَوْلَاهُ، السَّلَامُ عَلَى يَزِيدِ بْنِ زِيَادِ بْنِ الْمَظَاهِرِ الْكَنْدِيِّ، السَّلَامُ عَلَى جَبَلَةَ بْنِ عَلِيِّ الشَّيْبَانِيِّ، السَّلَامُ عَلَى أَسْلَمِ بْنِ كَثِيرِ الْأَزْدِيِّ الْأَعْرَجِ، السَّلَامُ عَلَى زَهِيرِ بْنِ سَلِيمِ الْأَزْدِيِّ، السَّلَامُ

على قاسم بن حبيب الأزدي، السّلام على عمر بن الأحداث الحضرمي، السّلام على أبي ثمامة عمر بن عبد الله الصّائدي، السّلام على حنظلة بن أسعد الشّامي، السّلام على عبد الرّحمن بن عبد الله بن الكدر الأرحبي، السّلام على عمار بن أبي سلامة الهمداني، السّلام على عابس بن شبيب الشّكري، السّلام على شبيب بن الحارث بن سريع، السّلام على مالك بن عبد الله بن سريع، السّلام على الجريح المأسور سوار بن أبي حمير الفهمي الهمداني، السّلام على المرتث معه عمرو بن عبد الله الجندعي، السّلام عليكم يا خير أنصار، السّلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وبوأكم الله مبراً الأبرار، أشهد لقد كشف لكم الغطاء، ومهد لكم الوطاء، وأجزّل لكم العطاء، وكنتم عن الحقّ غير بطاء، وأنتم لنا فرط، ونحن لكم خلطاء في دار البقاء، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(١).

الزيارة الثالثة

أما الزيارة الثالثة فقد ذكرت ذكراً خاصاً لحبيب بن مظاهر؛ وهي الآن موجودة في كتب الأدعية والزيارات في مرقد الإمام الحسين عليه السلام. ويزور الزوار حبيب بن مظاهر بقراءتها؛ ومع ذلك، لم يُعثر على وثيقة لهذه الزيارة في المصادر المتقدمة.

«السّلام عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصّالِحُ، الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السّلامُ وَعَلَيْكَ السّلامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوَانُهُ عَلَى رُوحِكَ وَبَدَنِكَ أَشْهَدُ اللَّهُ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ الْبَدْرِيُّونَ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمُنَاصِحُونَ لَهُ فِي جِهَادِ الْأَعْدَاءِ الْمُبَالِغُونَ فِي نُصْرَةِ الْأَوْلِيَاءِ فَجَزَاكَ اللَّهُ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَرَ جَزَاءِ أَحَدٍ وَفِي بَيْعَتِهِ وَاسْتَجَابَ لَهُ دَعْوَتُهُ وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالشّٰهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا».

(١) المشهدي، الشيخ أبو عبد الله محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٨٥-٤٩٥.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

١. ابن الأثير الجزريّ، عزّ الدّين، أسد الغابة، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٥هـ.
٢. ابن الأثير الجزريّ، عزّ الدّين، الكامل في التّاريخ، بيروت: دار صادر، ١٣٨٥هـ.
٣. ابن أعثم الكوفيّ، أبو محمّد أحمد، الفتح، بيروت: دار الأضواء، ١٤١١هـ.
٤. ابن الكلبي، هشام بن محمّد، جمهرة النّسب، دمشق: دار اليقظة العربيّة.
٥. ابن حزم، أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، النّاشر: دار الكتب العلميّة، منشورات محمّد عليّ بيضون.
٦. ابن شهر آشوب، محمّد بن عليّ، متشابه القرآن ومختلفه، قم: منشورات بيدار، ١٤١٠هـ.
٧. ابن شهر آشوب، محمّد بن عليّ، مناقب آل أبي طالب، قم: منشورات العلامة.
٨. ابن طاووس، رضي الدّين أبو القاسم عليّ بن جعفر، الملهوف على قتلى الطّفوف، النّاشر: دار الأسوة للطباعة والنّشر، ١٤١٧هـ.
٩. ابن عساکر، أبو القاسم عليّ بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشّافعي، تاريخ مدينة دمشق، بيروت: دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع.
١٠. ابن كثير الدّمشقيّ، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٩هـ.
١١. ابن كثير الدّمشقيّ، إسماعيل بن عمر، البداية و النّهاية، بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ.
١٢. ابن هشام الحميري، السّيرة النبويّة، القاهرة: مكتبة محمّد عليّ صبيح و أولاده.
١٣. ابن الجوزي الحنبلي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، بيروت: دار صادر، الطّبعة الأولى، ١٣٥٨هـ.
١٤. أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل، المسند، النّاشر: مؤسّسة الرّسالة، الطّبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١٥. أبو عبيد بن سلّام، كتاب الأموال، تحقيق محمّد خليل هراس، الطّبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨.
١٦. الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطّالبيين، قم: منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٥م.
١٧. الأمين، السيّد محسن، أعيان الشّيعة، بيروت: دار التّعارف للمطبوعات.
١٨. الأميني، محمّد هادي، أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام و الرّواة عنه، قم: دار الكتاب الإسلاميّة.
١٩. الأمدي، عبدالواحد، تصنيف غرر الحكم، قم: منشورات مكتبة التّليغات الإسلاميّة، ١٣٦٦ش.
٢٠. البرقي، أبو جعفر، الرّجال، طهران: منشورات جامعة طهران.
٢١. البلاذريّ، أبو الحسن أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ.
٢٢. الجصاص، أحمد بن عليّ، أحكام القرآن، بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ، ١٤٠٥هـ.
٢٣. الجوهرى، أبو نصر، الصّحاح تاج اللغة و صحاح العربيّة، بيروت: دار العلم للملّين، ١٤٠٧هـ.
٢٤. الحاكم الحسكاني، أبو القاسم عبيدالله بن عبد الله، شواهد التنزيل، طهران: وزارة

العين في أنصار الحسين عليه السلام، طهران:
مركز الدراسات الإسلامية لحرس الثورة
الإسلامية، ١٤١٩هـ.

٣٧. السَّهيلي، أبو القاسم عبد الرَّحمن بن خطيب،
الروض الأنف في شرح السيرى النبوية لابن
هشام، تحقيق عبد الرَّحمن الوكيل، سبعة
مجلدات، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء
التراث العربي، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٣٨. السيوطي، جلال الدين، تفسير الدر المنثور،
بيروت: دار المعرفة.

٣٩. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج
البلاغة، قم: منشورات هجرت، ١٤١٤هـ.

٤٠. الشريف المرتضى، علي بن الحسين، الرسائل،
قم: دار القرآن الكريم، ١٤٠٥هـ.

٤١. الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار، قم:
مدرسة الإمام المهدي، ١٤١٠هـ.

٤٢. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، الرعاية
في علم الدراية، قم: مكتبة آية الله المرعشي
العامة، ١٤٠٨هـ.

٤٣. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن
حسين بن بابويه، الأمالي، بيروت: منشورات
الأعلمي، ١٤٠٠هـ.

٤٤. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن
حسين بن بابويه، الخصال، قم: منشورات
مدرسين، ١٣٦٢ش.

٤٥. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن
حسين بن بابويه، علل الشرائع، قم:
منشورات داوري.

٤٦. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن حسين بن
بابويه، عيون أخبار الرضا عليه السلام؛ تحقيق الشيخ
حسين الأعلمي؛ الطبعة الأولى، بيروت:

الإرشاد الإسلامية، ١٤١١هـ.

٢٥. الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن
الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل
الرسول صلى الله عليهم، مؤسسة النشر
الإسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين بقم
المشرفة، ١٤٠٤هـ.

٢٦. الحلبي، الشيخ نجم الدين جعفر بن
محمد، مثير الأحزان، قم: مدرسة الإمام
المهدي عليه السلام، ١٤٠٦هـ.

٢٧. الحلبي، حسن بن يوسف، منهاج الكرامة في
معرفة الإمامة، مشهد: مؤسسة عاشوراء.

٢٨. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، بيروت:
دار صادر، ١٩٩٥م.

٢٩. الحموي الجويني، إبراهيم بن محمد، فرائد
السَّمطين، بيروت: مؤسسة المحمودي،
١٣٩٨هـ.

٣٠. الخوارزمي، موفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام،
قم: منشورات أنوار الهدى، ١٤٢٣هـ.

٣١. الدينوري، ابن قتيبة، أخبار الطوال، قم:
منشورات شريف رضي، ١٣٧٣ش.

٣٢. الرازي، أبو الفتوح، تفسير روح الجنان،
قم: منشورات مكتبة آية الله المرعشي
التجفي(ره)، ١٤٠٤هـ.

٣٣. الراوندي، قطب الدين، فقه القرآن في
شرح آيات الأحكام، قم: مكتبة آية الله
المرعشي التجفي.

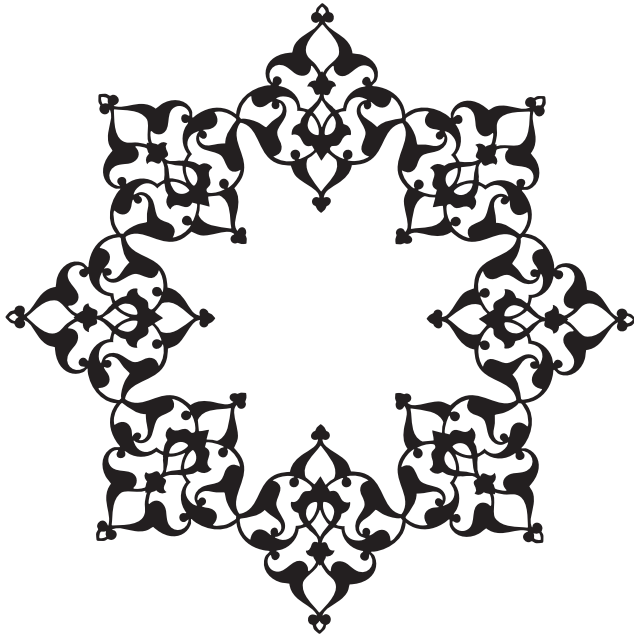
٣٤. ستودارد، لوثرروب، حاضر العالم الإسلامي،
بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

٣٥. سلمان هادي طعمة، تراث كربلاء، بيروت:
مؤسسة الأعلمي للطبوعات، ١٤٠٣هـ.

٣٦. السَّهوي، الشيخ محمد بن طاهر، إِبصار

- مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٤هـ.
٤٧. الصّدوق، ابو جعفر محمّد بن علي بن حسين بن بابويه، من لايحضره الفقيه، قم: منشورات مدرسين، ١٤٠٤هـ.
٤٨. الصّمياني، حيدر، موسوعة في ظلال شهداء الطّفّ، كربلاء المقدّسة: العتبة الحسينيّة المقدّسة، قسم الشّؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٤هـ.
٤٩. الطّبري، رستم ابن جرير، دلائل الإمامة، قم: منشورات بعثت.
٥٠. الطّبيسي، محمّد جعفر، مولائي، عزت الله، مع الرّكب الحسيني، قم: منشورات تحسين، ١٤٢٨هـ.
٥١. الطّوسي، أبو جعفر محمّد بن حسن؛ التبيان في تفسير القرآن؛ تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي؛ بيروت: دار إحياء التراث العربيّ.
٥٢. الطّوسي، محمّد بن حسن، رجال الطّوسي، قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، مؤسسة النّشر الإسلامي، ١٣٧٣ش.
٥٣. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصّحابة، بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٥هـ.
٥٤. الفيروز آبادي، سيد مرتضى، فضائل الخمسة من الصّحاح السّنة، منشورات الإسلاميّة، ١٣٩٢هـ.
٥٥. القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بيروت: دار الجليل، الطّبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٥٦. كحالة، عمر، معجم قبائل العرب، بيروت: مؤسّسة الرّسالة.
٥٧. كرد علي، محمّد بن عبد الرّزاق بن محمّد، خطط الشّام، دمشق: مكتبة النّوري، ١٤٠٣هـ.
٥٨. الكشي، محمّد بن عمر، اختيار معرفة الرّجال، مشهد: منشورات جامعة مشهد، ١٤٠٩هـ.
٥٩. الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي، طهران: منشورات الإسلاميّة، ١٣٦٢ش.
٦٠. ليبب بيضون، موسوعة كربلاء، بيروت: مؤسّسة الأعلميّ.
٦١. المامقاني، الشّيخ عبد الله، تنقيح المقال في علم الرّجال، قم: مؤسّسة آل البيت (ع)، لإحياء التّراث.
٦٢. المتقي الهندي، علاء الدّين عليّ بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ، ١٤٠٣هـ.
٦٣. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، بيروت: مؤسّسة الوفاء، ١٤٠٣هـ.
٦٤. المحلاتي، ذبيح الله، فارس الهيجاء، قم: المكتبة الحيدرية.
٦٥. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجواهر، قم: دار الهجرة، ١٤٠٩هـ.
٦٦. المشهدي، الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن جعفر، المزار، طهران: النّاشر: نشر القيوم المطبعة: مؤسّسة النّشر الإسلاميّ، ١٤١٩هـ.
٦٧. المظفر، محمّد حسين، ميثم التّار، النّجف الأشرف: مكتبة الحيدرية، ١٣٨٥هـ.
٦٨. المفيد، محمّد بن محمّد بن نعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم: الفيه شيخ مفيد، ١٤١٣هـ.
٦٩. المفيد، محمّد بن نعمان، الجمل، قم: منشورات المؤتمر للشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.
٧٠. المفيد، محمّد بن نعمان، تفسير القرآن المجيد، قم:

- عبد الله بن محمد، المستدرک علی الصحیحین، بیروت: دارالکتب العلمیة، الطبعة: الأولى، ۱۴۱۱ھ - ۱۹۹۰.
۷۱. المقرّم، السید عبدالرزاق، مقتل الحسين (عليه السلام)، قم: منشورات مؤسّسة البعثة. ۱۴۱۴ھ.
۷۲. المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ۱۴۰۴ھ.
۷۳. مؤسّسة دائرة المعارف الفقه الإسلاميّ، الموسوعة الفقهية، قم المقدسة، منشورات مؤسّسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ، ۱۴۲۳ھ.
۷۴. النّراقي، ملا أحمد، جامع السّعادات، بیروت: مؤسّسة الأعلمیّ للمطبوعات.
۷۵. النّمازي الشّاهرودي، علي، مستدرکات علم رجال الحديث، طهران: مكتبة مولف، ۱۴۱۴ھ.
۷۶. النّيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمّد بن
- عبد الله بن محمد، المستدرک علی الصحیحین، بیروت: دارالکتب العلمیة، الطبعة: الأولى، ۱۴۱۱ھ - ۱۹۹۰.
۷۷. الواقدي، محمّد بن سعد، الطبقات الكبرى، بیروت: دارالکتب العلمیة، ۱۴۱۰ھ.
۷۸. الواقدي، محمّد بن عمر، المغازي، تحقيق مارسدن جونز، الطبعة الثالثة، بیروت: مؤسّسة الأعلمیّ للمطبوعات، ۱۴۰۹ھ / ۱۹۸۹.
۷۹. الهيثمي، نور الدین عليّ بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بیروت: دار الکتب العربيّة، ۱۹۶۷م.
۸۰. اليعقوبي، ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، مجلّدان، قم: منشورات الشّريف الرّضي، ۱۳۷۳ھ.



المحتويات

٩	المقدمة
	الفصل الأول: السيرة الذاتية لحبيب بن مظاهر..... ١١
١٢	السيرة الذاتية لحبيب بن مظاهر
١٢	الاسم واللقب والنسب
١٢	١. المظاهر
١٢	٢. مظهر
١٤	٣. مطهر
١٤	التحليل والدراسة
١٦	تأريخ ولادة حبيب بن مظاهر
١٦	لقب حبيب بن مظاهر
١٦	زوجته
١٨	الأولاد
١٩	مكان قبر حبيب بن مظاهر
٢٣	التحليل والدراسة
	الفصل الثاني: حبيب بن مظاهر في عهد النبي..... ٢٧
٢٨	حبيب بن مظاهر في عهد النبي (من يوم ميلاد الحبيب إلى سنة ٢٥ من عمره الشريف)
٢٨	قبيلة بني أسد في زمن البعثة النبوية ﷺ
٢٨	نسب قبيلة بني أسد ومكان حياتهم
٣٠	قبيلة بني أسد والإسلام
٣٥	حبيب بن مظاهر في عهد النبي ﷺ
٣٥	مفهوم الصحابي
٣٧	حبيب بن مظاهر من أصحاب النبي
٣٧	الشواهد التاريخية على كون حبيب بن مظاهر صحابياً
٣٩	الأدلة على أنّ حبيب بن مظاهر من الصحابة
٣٩	١. مدة حياته في زمن الرسول ﷺ
٤٠	٢. الشيعة و صحابي خاص من أهل البيت ﷺ
٤٣	٣. أقوال الإمام الحسين ﷺ في وصف حبيب بن مظاهر

الفصل الثالث حبيب بن مظاهر في عهد الإمام عليّ عليه السلام ٤٥

- ٤٦ حبيب بن مظاهر في عهد الإمام عليّ عليه السلام (من سنة ٢٥ إلى سنة ٥٥ من عمره الشريف)
- ٤٧ حياة الإمام عليّ من وفاة الرسول إلى خلافته (من سنة ٢٥ إلى سنة ٥٠ لحبيب بن مظاهر)
- ٥٠ حياة الإمام عليّ عليه السلام في حقبة الخلافة (من ٥٠ إلى ٥٥ سنة لحبيب بن مظاهر)
- ٥٢ شرطة الخميس
- ٥٤ مشاركة الإمام عليّ ومساعدته في الحروب
- ٥٥ ١. حرب الجمل (٥٠ سنة حبيب بن مظاهر)
- ٥٥ ٢. حرب صفين (٥١ سنة حبيب بن مظاهر)
- ٥٧ ٣. حرب نهروان (٥٢ سنة حبيب بن مظاهر)

الفصل الرابع: حبيب بن مظاهر في زمن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام ٥٩

- ٦٠ حبيب بن مظاهر في زمن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام (٥٥ سنة إلى ٦٥ سنة حبيب بن مظاهر)
- ٦١ صلح الإمام الحسن عليه السلام (٥٦ سنة حبيب بن مظاهر)
- ٦٥ موقف حبيب بن مظاهر من صلح الإمام الحسن عليه السلام

الفصل الخامس: حبيب بن مظاهر في زمن الإمام الحسين عليه السلام ٦٧

- ٦٨ حبيب بن مظاهر في زمن الإمام الحسين عليه السلام
- ٦٩ تطوّرات السنة الأخيرة لحبيب بن مظاهر
- ٧٢ تطوّرات الكوفة قبل حادثة عاشوراء و دور حبيب بن مظاهر
- ٧٣ ١- رسالة حبيب بن مظاهر إلى الإمام الحسين عليه السلام
- ٧٤ ٢- مناصرة مسلم بن عقيل وأخذ البيعة من الناس
- ٧٦ ٣- رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى حبيب بن مظاهر
- ٧٦ حبيب بن مظاهر في كربلاء
- ٧٦ ١- طلب المساعدة من قبيلة بني أسد في كربلاء
- ٧٧ ٢- رفض بيعة عمر بن سعد
- ٧٨ ٣- موعظة الكوفيين وإتمام الحجّة عليهم في عصر تاسوعاء
- ٧٨ ٤- إعلان البيعة للإمام الحسين والسيدة زينب ليلة عاشوراء
- ٧٩ ٥- الحالة الروحية والسعادة لحبيب بن مظاهر ليلة عاشوراء
- ٨٠ ٦- قائد الجناح الأيسر لجيش الإمام الحسين عليه السلام
- ٨٠ ٧- الردّ على كلام شمر بن ذي الجوشن الفاحش
- ٨١ ٨- جواب حبيب بن مظاهر للحصين بن تميم

- ٨٢ ٩- الحضور على جنازة مسلم بن عوسجة مع الإمام الحسين عليه السلام
 ٨٣ ١٠- معركة حبيب بن مظاهر الباسلة
 ٨٣ ١١- نهاية حياته مباركة، استشهاد عظيم
 ٨٤ ١٢- الإمام الحسين عليه السلام على جنازة حبيب بن مظاهر

الفصل السادس: فضائل حبيب بن مظاهر..... ٨٥

- ٨٦ فضائل حبيب بن مظاهر
 ٨٦ ١. العلم والفقاهة
 ٨٩ ٢. الشجاعة
 ٩٠ ٣. الأُنس مع القرآن
 ٩١ ٤. العبادة والعبودية
 ٩٢ ٥. الغيرة الدينية
 ٩٣ ٦. الإيمان الجازم بإمامة الأئمة عليهم السلام
 ٩٥ ٧. الوفاء

الفصل السابع: زيارات حبيب بن مظاهر..... ٩٧

- ٩٨ زيارات حبيب بن مظاهر
 ٩٨ الزّيارة الأولى
 ١٠٠ الزّيارة الثانية
 ١٠٠ زيارة الشّهداء رضوان الله عليهم في يوم عاشوراء.
 ١٠٣ الزّيارة الثالثة
 ١٠٥ قائّمة المصادر و المراجع